الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لقبيلة " شهران العريضة "

في الجاهلية وصدر الإسلام

يتكون هذا الفصل من ثلاث مباحث وهي كالتالي

المبحث الأول : شهران العريضة ومواردها الاقتصادية .

وتحدثت فيه عن الحياة الاقتصادية لقبيلة شهران،بدءًا بالزراعة، وأهم المحاصيل الزراعية من (حبوب، وخضروات، وفواكه، وتمور، وغيرها) والأنواء الزراعية المتعلقة بمطالع النجوم، ومرورًا بالحديث عن الطرق التجارية بنوعيها، وأهم الموانئ، وكذلك عملة شهران المختلفة، وانتهاءً بالحديث عن الموازين والمكاييل والمقاييس وأهم وحداتها والمستخدمة في تجارتهم وغيرها من الأعمال والتي تستلزم استخدام هذه المقاييس والمكاييل .

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية لقبيلة " شهران العريضة " .

تعرضت في هذا المبحث للحياة الاجتماعية لقبيلة شهران العريضة حيث تناولت العادات، والتقاليد، والأعراف التي اجتمعت عليها قبائل شهران، والمتمثلة في: عادة الكرم والضيافة، وعادة الاستقبال، وعادات الخطبة، ومراسيم الزواج والزفاف، وعادة السماوة ... إلى غير ذلك من عادات ومناسبات، تحدثنا عنها بالتفصيل

وكذلك تناولت فيه بالتفصيل: الأطعمة، والأشربة، والملبوسات، واقتصرت على أهم الأكلات الشعبية، والأشربة المختلفة، كما قدمت وصفًا للأواني المستخدمة في كل منها – أكلًا وشربًا–، وختمت هذا المبحث بالحديث عن الملبوسات وأنواعها المختلفة عند أبناء شهران، ذكورًا كانوا أم إناثًا،(على اختلاف نوعهم وجنسهم)

وفي المبحث الثالث : تحدثت عن أبرز شعراء وشاعرات قبيلة شهران العريضة في تلك الحقبة التاريخية المهمة؛ فتحدثت أولًا عن أبرز الشعراء والشاعرات في العصر الجاهلي، ثم تحدثت عن أبرز الشعراء والشاعرات في عصر صدر الإسلام حتى نهاية دولة بني أمية؛ نظرًا للترابط التاريخي والتسلسل الزمني لتلك الفترة

المبحث الأول : شهران العريضة ومواردها الاقتصادية .

١- أهم المحاصيل الزراعية.

تهتم معظم قبائل شهران العريضة كثيرًا بالزراعة، حيث يعتمدون على منتجاتها خصوصًا التمر؛ لذلك فقد عمدوا إلى الاهتمام بها، وتوسيع المساحات المزروعة؛ مما نتج عنه كثرة المحاصيل الزراعية وتنوعها، وقد أشار إلى ذلك فؤاد حمزة بقوله: "فأما الزارعة الرئيسية في بلاد شهران فإنها الحبوب (البر، الشعير،الذرة بأنواعها، الدخن)"، أما الخضر والفواكه فإن عناية أهل بلاد شهران بها قليلة جدًا وكان ذلك سابقًا، والمعيشة من حيث هي بدائية بسيطة، بحيث أن سكانها يعتمدون في مأكلهم على محصولاتهم الوطنية[١].

كما ذكر " تاميزيه " أنه تكثر زراعة القمح والشعير في بلاد قبائل شهران، وأشار إلى كثرة النخيل في بيشة[٢]، ونظرًا لكثرة المحاصيل الزراعية وتنوعها في بلاد شهران فسنحاول حصرها على النحو التالي:

أولًا: التمر: يُعد المحصول الرئيسي في مدينة بيشة وبعض المناطق الأخرى وقد ذكر "تاميزيه" أنه كان يوجد ببيشة في الثلث الأول من القرن الماضي أكثر من نصف مليون نخلة[٣]، بينما يذكر العواجي في كتابه (بيشة) أن عدد النخيل في بيشة أكثر من ذلك بكثير حيث قال: "يبلغ العدد التقريبي لأشجار النخيل في بيشة حوالي (٢مليون) نخلة منها مليون ونصف مثمرة[٤]"، وتكثر أنواع التمور وتتعدد ومن أهم أنواعها. وقد كانت مدينة بيشة تمد الخلافة الأموية بالتمور هي ومنطقة الإحساء والبصرة وكان لهذه المدن الثلاث مكانة في صدر الإسلام.

- الصفري: وهو أجود أنواع التمور في بيشة ويشكل الغالبية العظمى في كل مزرعة، وهو ذو حجم كبير، وتشتهر بيشة به.
- البرني: وهو أفضل أنواع الخرفة، بلحه أحمر لذيذ الطعم.

---

(١) حمزة ،فؤاد ، رحلة في عسير، ص٨٠.

(٢) تاميزيه، مقالة في مجلة العرب، ج٩، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص٦٧٠-٦٧١.

(٣) نفس المرجع.

(٤) العواجي، مصدر سابق، ص٢٠٠.

- السكري
- الصقعي
- الشكل.
- المقفزي.
- البرناوي.
- السري.
- العشب بأنواعه.
- الدقل بأنواعه[1].
- الخضاري.
- الحلوة.
- اللحق.
- المكثري. وغيرها أنواع كثيرة[2].

ثانيًا: الحبوب.

تزرع الحبوب باختلاف أنواعها كما يُصَدَّر الفائض منها إلى الأسواق المجاورة ومن أهمها:

١- القمح: يزرع بمختلف أنواعه، وفي مناطق متفرقة من شهران حيث المناخ المناسب والتربة الصالحة، وله أهمية كبيرة نظرًا لاعتماد السكان عليه في غذائهم.

٢- الشعير: يأتي في المرتبة الثانية بعد القمح من حيث الأهمية حيث كان قديمًا يستخدم كغذاء، أما اليوم فيقدم للحيوانات.

٣- الذرة: تزرع بأنواعها المختلفة في أنحاء البلاد الشهرانية وخاصة في تهامة شهران فمنهم من يستخدمها كغذاء رئيسي تعمل مع الحليب .

إضافة إلى محاصيل أخرى من الحبوب مثل العدس، والبلسن، الحلبة، الدجرة، وغيرها.

---

(١) العواجي، مصدر سابق، ص٢٠٠.

(٢) آل طالع، عبد الكريم. شهران بين الماضي والحاضر، ص١٦٦.

ثالثًا: الخضروات.

تزرع الخضروات بأنواعها مثل البصل، والثوم والفجل، والبامية، والفلفل الأخضر، الدبا، الطماطم، الكراث، البقدونس، الفاصوليا، الخيار... وغيرها، حيث تتوفر المياه والأماكن المناسبة لزراعتها، ويهتم الأهالي بالزراعة؛ لأنها كانت سابقًا مصدر عيشهم بعد الله سبحانه وتعالى.

رابعاً: الفواكه.

تزايد الاهتمام بزراعتها تزايدًا ملموسًا واحتلت مركزًا قويًا من حيث الاهتمام بها، وظهرت منها أنواع كثيرة أهمها العنب، والرمان، والسفرجل، والحمضيات بأنواعها، والتفاح، والبطيخ، والتين، وغيرها.

وقد ذكر "تاميزيه" في حديثة عن قبائل شهران فقال: "وكذلك بعض الفواكه مثل الدرامة والمشمش والرمان والعنب" [(١)].

خامسًا: محاصيل ومنتجات زراعية أخرى.

إضافة إلى ما ذكرناه سابقًا فهناك زراعات أخرى ينتجها أهل شهران تكملة لجوانب الحياة الأخرى مثل الرياحين (الفل، الياسمين) السمسم وغيرها[(٢)].

علاوة على توافر العديد من النباتات التي يستفاد منها في الغذاء والدواء، تعرض لها كثير ممن كتب عن هذه المنطقة، وفي مقدمتهم الدكتور غيثان جريس [(٣)]، نختار منها ما يلي

الأعناب، وقصب السكر والقرظ والأسحل والبشام "، والسدر، والطلح، والجلجلان، والذرة، والدخن، والبُن، والزبيب، والبر، والشعير، واللوز، والتفاح، والخوخ، والعسل بمختلف أنواعه وأشكاله، كما أن بها الشث، والأراك، والعثرب، البشام، والدوم، والمظ، والنشم، والسحاء، والشوحط، والعتم، والغرف، والضرف، والعفار، والندغ .

(١) تاميزيه، مقالة، مجلة العرب، مصدر سابق، ص٦٧٠-٦٧١.

(٢) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص١٤٢-١٤٧.

(٣) جريس، صفحات من تاريخ عسير، عدة أجزاء، طبعة ١٤٢٥هـ، ص٤٨-٦١، .

- **البشام:**

عرَّفه اللغويون بأنه شجر عطر الرائحة طيب الطعم ، ويذكر أبو حنيفة الدينوري بأنه يُدق ورقه ويخلط بالحناء ويسوِّد الشعر ، ويؤخذ من فروعه مساويك للأسنان ، ويستدل ببيت لجرير عندما قال :

أتذكر يوم تصقل عارضيها بعودِ بشامةٍ، سُقي البَشَام

- **الحرمل**

شجرة تنبت بالقرب من الينابيع وبرك الماء، ارتفاعها نحو القامة ولها ورق طوال ولبن كثير، أشار إليها الدينوري فقال عن أهميتها في التداوي نقلاً عن أحد السرويين: "يؤخذ لبنها في صوف أو قطن، ثم يسغبل بالزبد. حتى يروى منه، ثم يغمل عشرة أيام حتى ينتن، ثم يحك جرب الإنسان الأجرب حكًا شديدًا، ويقام في الشمس فيدلك جربه بتلك الصوفة حتى تبرأ".

أما شجرة الحرمل فلا يأكلها شيء استدلالا ببيت طرفة الذي أورده ابن منظور، فقال:

هم حرمل أعيا على كُلِ آكل مبيتا ولو أمسى سُوامُهم دُثْرا

- **الخروع:**

يذكر ابن منظور في معجمه (لسان العرب) كلمة خرع خرعا ثم يشير إلى أن شجرة الخروع شجرة رخوة ، ويذكر عن الأصمعي ، بأن كل نبات ضعيف يتثنى خروع ، أي نبت كان ، وأنشد يقول :

تلاعب مثنى حضرمي كأنه تعمج شيطان بذى خروع قفر

- **زغبج :**

وفي لسان العرب لابن منظور ورد باسم (زعنج) وهو ثمر العتم أو ما يعرف بزيتون الجبال وهو كالنبق الصغار، يكون أخضر ثم يسود، ويستخدم مع الأكل ويطبخ ويصفى ماؤه حتى يكون ربا كرب العنب.

- **السحاء :**

قال أبو حنيفة الدينوري أخبرني بعض أعراب السراة عن السحاء فقال: "هو شوك قصار لازم للأرض لا يسمو، يكثر في منابته، ولا ورق له، وفي أضعاف شوكه أقماع كثيرة، فيجئ النحل ويدخل في أجواف تلك الأقماع، وعسلها، معروف".

- **السدر :**

قال ابن منظور عنه، السدر شجر النبق، وقال أبو حنيفة: السدر من العضاة وهو لونان: فمنه عبري، ومنه الضال فهو ذو شوك، وللسدر ورقة عريضة مدورة.

- **الضرو :**

قال أبو حنيفة الدينوري: الضرو من شجر الجبال والواحدة ضرورة، وأخبرني أعرابي من أهل السراة قال: شجر الضرو مثل شجرة البلوط العظيمة.

- **الطباق:**

قال أبو حنيفة الدينوري: "أخبرني بعض أزد السراة قال: هو نحو القامة ينبت متجاورًا لا يكاد يرى منه واحدة منفردة، وله ورق طوال دقاق خضر، يضمد بها الكسر فيجبر، ولا تأكله الإبل ولكن الغنم، ومنابته الصخر مع العرعر، والنحل تجرسه والأوعال أيضًا ترعاه وأنشد: **وأشعث آنسته المنية نفسه رعى الشث والطباق في شاهق وعر**

- **العتم:**

قال أبو حنيفة الدينوري: العتم شجر يشبه الزيتون ينبت بالسراة، وذكر الأصمعي أن السواك يتخذ من شجر العتم .

- **العرعر:**

قال أبو حنيفة الدينوري العرعر والواحدة عرعرة، وهو شجر عام من شجر الجبال، وقد أشارت بعض البحوث إلى أن عصارة خشب العرعر قديمًا كانت تستخدم لعلاج مرض النقرس.

- **عشرق:**

ويذكر الدينوري أنها شجرة تفرش على الأرض، وليس لها شوك، وقد يؤخذ ورقه فتغسل به النساء رؤوسهن، ولون حبوبه بيضاء طيبة، وهي حارة وجيدة للبواسير.

- **عفار:**

ذكر الدينوري عن أعرابي مناهل السراة؛ أن نبات العفار يوجد في الأماكن السهلية، وعند سفوح الجبال، ولون ورقتها حين تظهر يبدو عليها الغبرة، ثم تبدأ تحمر قليلاً حتى تشتد حمرتها. ويذكر ابن منظور أن العفار شجر يتخذ منه الزناد. وقيل في قول الله " أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ [الواقعة: ٧١-٧٢] فذكر أن المقصود بالشجرة هنا العفار والمرخ، وهما شجرتان فيهما نار ليس في غيرهما من الشجر. ويعمل من أغصانها الزناد فيقتد حبه، وعفار واحدته عفارة، وقيل إن عفارة يطلق على اسم امرأة، ولهذا قال الأعشى .

باتت لتحزننا عفارة يا جارتا ما أنت جاره

- **القضب:**

ذكره الدينوري وابن منظور وصاحب التاج بأنه شجر سهلي له ورق كورق الكمثرى إلا أنه أرق وأنعم، قال الأعشى:

ألم تر أن العرض أصبح بطنه نخيلا وزرعا نابتا وفصافصا

وقال الراجز في وصف امرأة:

بنى السويق لحمها واللت كما بني نحت العراق القت

والقضب قد ورد ذكره في القرآن الكريم قال الله تعالى:"فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا[عبس: ٢٧-٢٨]، وقد فسر ابن كثير كلمة القضب في الآية فقال: "هو الفصفصة التي تاكلها الدواب رطبة ويقال لها القت... وقال القضب العلف"، ومن خصائصه أنه مغذ للجسم ومضاد لفقر الدم، ويذكر أحد الباحثين عن البرسيم فيقول: "إنه من أغنى الأغذية التي جاءت بها الطبيعة".

- **الكراث:**

أشار الدينوري إلى هذا الشجر فقال: شجر كبير ينبت في الجبال، ثم قال نقلا عن أعرابي من أزد السراة: "إن الكراث شجرة جبلية لها ورق طوال دقاق وأغصان ناعمة، وإذا فدغت هريقت لبنا، والناس يستمشون بلبنها، ثم أورد بيتًا لأبي ذرة الهذلي:

إن حبيب بن اليمان قد نشب في حصد من الكراث والكنب

وقال الدينوري أيضًا: "ويؤتى بالمجذوم حتى يتوسط به منبت الكراث فيوضع فيه، ويخلط له بطعامه وشرابه فلا يلبث أن يبرأ من جذامه.

- **المظّ والندع :**

شجرتان تنبتان ببلاد تهامة والسراة في إيرادهما معا أنهما من الأشجار المحببة إلى النحل، وقد أنشد أبو الهيثم فقال:

وسلّ الهمّ عنك بذات لوثٍ تبوض الحادبين إذا ألظّا

كأن بنحرها وبمشفريها ومخلج أنفها راء ومظّا

ويشير الدينوري إلى أن السراة أكثر أرض العرب عسلًا وعنبًا وتينًا وزبيبًا وربًا، ثم أنشد لأحد الشعراء في عسل الضرم والندغ فقال :

كان فاها بعد نوم الهادي ما تجمع النحل من الشِّهاد

من ثمر الضهياء والقتاد والضرم لنضر وندغ ثاد

ولمعرفة أنواع المحاصيل أنظر الجدول رقم (٣)، الذي يوضح أهم المحاصيل في كل قبيلة من قبائل شهران والتي جاءت من أفواه مشايخ هذه القبائل عبر المقابلات التي أجريتها مع كلٍ منهم على حده .

جدول رقم (٣) يوضح أهم المحاصيل الزراعية لقبائل شهران العريضة

المنازل	اسم القبيلة	أهم المنتجات الزراعية
خميس شهران	آل الرشيد	– جميع الحبوب، الخضار، الخمضيات، السفرجل، العنب، التمر.
	آل الغمر	– الحبوب بأنواعها. – الحوامض.
	آل عامر	– جميع الحبوب. – التمر. – الحمضيات
بيشة	بني واهب	– القمح، الذرة، الشعير، الحبش، البنسل، الدجر، الرمان، العنب
	بني منبه	– جميع الحبوب. – التمور وهي: الصفري، البرني، بديرة، الصفراء، الحمراء الشكل، البرحي.
	معاوية	– التمور، الفواكه، الخضار. – الحبوب بأنواعها
	الرمثين	– التمر، البر، الشعير. – الذرة، جميع أنواع الحبوب.
	بنس سلول	– التمر، العنب، البر، الشعير، الذرة. – جميع أنواع الحبوب.
	الفزع	– الذرة، الشعير. – التمر، الرمان، العنب
تنداحة بلاد شهران	كود	– الحبوب بأنواعها – النخيل.

المنازل	اسم القبيلة	أهم المنتجات الزراعية
		– الخضار
	آل عجير	– جميع أنواع الحبوب.
	بني سامة	– جميع المحاصيل الزراعية. (البر، الشعير، الذرة).
	آل الزلال	– جميع أنواع الحبوب، الفواكه، الرمان، الحمضيات، الخضار.
	آل الحجاج	– الذرة، البر، الشعير، البلسن، جميع الخضار، الفواكه الصيفية.
يعرى والقاعة، تندحة، بيشة شهران	ناهس	– الحبوب بأنواعها (ذرة، بر، شعير) – التمر(الصفري، البرني، التمر الدقل، التمر الصفراء، التمر الحمراء)
مركز بن هشبل	بني بجاد	– البر، الشعير، الذرة – التمر. – الخضار بأنواعها
	بني قحافة	– التمر. – الحبوب بأنواعها. – الخضار بأنواعها.
شعف شهران	بني مالك	– الشعير، القمح، الذرة – العدس، الفواكه. – الخضار

المنازل	اسم القبيلة	أهم المنتجات الزراعية
	آل سرحان	– الحبوب بأنواعها. – الفواكه بأنواعها. – الخضار بأنواعها، الزيتون
	بني جابرة	– جميع أنواع الحبوب. – البر، الشعير، الحبش، العدس، الفواكه، الخضار
	آل القرعاء	– البر، الذرة، الشعير، البلسن، الفواكه، الحبوب بأنواعها، الخضار
	آل المسقى	– جميع الحبوب، الفواكه. – الخضروات
تهامة شهران	الحقو	الحبوب بأنواعها، الدخن، الحنطة، الذرة، السمسم.
	الجهرة	الدخن، البلسن، الذرة
	بني ماجور من بني مالك شهران	الدخن، الذرة، البلسن. العدس، الحنطة الحمر.

٢– النجوم الزراعية.

لقبائل شهران مواسم يعرفونها، ولها أسماء ودلالات يستدلون بها على بداية الحراثة لكل محصول زراعي منها:

١– نجم الجبهة: يتكون هذا النجم في عرف بعض المزارعين من أربعة نجوم وعند ظهوره يقطف التمر.

٢- نجم سهيل: زراعة الذرة،وهو يكون في الجهة الجنوبية ويظهر في الشتاء وفيه يشتد البرد وتشعول الإبل وتهيج الفحول

٣- نجم الثرياء: يطلق عليه البعض نجم ثريا الخريف ويسمى أحيانًا بـ(السبع) لكونه يتألف من سبعة نجوم وعند ظهوره تبدأ زراعة الذرة التي يسميها البعض بالخريف، وهذه النجوم السبعة نجوم تشرق من الشمال الشرقي وتغرب في الشمال الغربي، وهي مربعة: أربع نجوم وثلاثة في الخلف. أمَّا الثريا فهي مجموعة نجوم تظهر في الخريف وتشرق وتغرب ولكنّ مدارها يختلف من موقع لآخر. وسوف أعرض -لاحقًا- صورًا للنجوم التي فوق شهران بالاستعانة ببعض الفلكيين المختصين.

٤- نجم الذراع: عند رؤيته يعتقدون حلول موسم زراعة الذرة البيضاء.

٥- سعد السعود: في بعض الأجزاء التهامية يسمون وقت زراعة الصيف بهذا النجم.

٦- الشب: زراعة الشتاء.

ولقد كان العرب في العصور الجاهلية والإسلامية المختلفة من أفضل العارفين بمواسم وفصول السنة والأوقات الجيدة للزراعة وما يتعلق بالأمطار والنجوم وغيرها[١].

وبعضهم يحفر حفرًا في موقع بيتِه ثم يثقب لدخول الشمس، فإذا جاءت في الثقب الأول زرع أو حصد، والثقب الثاني يزرع أو يحصد.. وهكذا؛ لأنَّ الشمسَ لها مدارٌ في الصيف تتحول إلى الشمال، وفي الشتاء تتحول إلى الجنوب وكذلك القمر.

٣- الطرق التجارية

توافرت لبلاد تهامة والسراة عدد من طرق التجارة البرية والبحرية ... واشتملت على طرق داخلية وأخرى خارجية .

فالطرق الداخلية: هي التي تربط أجزاء البلاد الداخلية بعضها ببعض، وهي كثيرة جدًا، فلم تكن تخلوا مدينة أو قرية من طرق تربط بعضه ببعض، كما لا توجد قبيلة أو عشيرة أو حتى منزل إلا ويربطه طريق، وأحيانًا طرق عدة تصله بقرى أو بيوت أخرى[٢].

---

(١) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص١٣٥.

(٢) جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ص٣٤٧-٣٤٨.

أما الطرق الخارجية: فهي تلك الطرق التي تربط أجزاء تهامة والسراة بغيرها من المناطق الأخرى في شبه الجزيرة العربية . ومن أهم تلك الطرق، الطريق الواصل بين الحجاز واليمن عبر أرض تهامة والسراة أهمها:

٤- الطريق الذي يربط صنعاء وصعدة ونجران وجرش وبيشة بالطائف ومكة المكرمة عبر الأجزاء الشرقية لجبال السروات، وهذا الطريق كان مستخدمًا قبل الإسلام، سلكه أبرهة الحبشي ومن قبله أسعد أبي كرب الملك الحميري؛ والسالك لهذا الطريق يلاحظ آثار الإصلاحات القديمة بادية عليه كتذليل عقباته، وتبليط الخشن من أرضه ورصف بعض مجاري الأودية التي تعترضه. حيث جرت عادة الحكام منذ القدم وطوال العصور الإسلامية الوسيطة على تعمير الطرق وتعبيدها. ومنذ ظهور الإسلام نجد أن هذا الطريق أصبح من الطرق الرئيسية حيث نشطت الرحلة عبره في العصور الإسلامية الأولى فكان يسلكه الصحابة .. كما كان يسلكه الحجاج والتجار وطلبة العلم. ويشير الهمداني إلى خروج الطريق الجبلي من صنعاء إلى صعدة ... بل ويعدد المحطات الواقعة على هذا الطريق مع ذكر أطوال المسافة بين كل محطة ومحطة بقوله: "من صعدة إلى العرقة اثنان وعشرون ميلاً، ومن العرقة إلى المهجر اثنا عشر ميلاً، ومن المهجر إلى أرينب ثلاثة عشر ميلاً، ومن أرينب إلى سروم الفيض أربعة عشر ميلًا، ومن كتنة إلى يبمبم عشرون ميلاً، ومن يبمبم إلى بنات حرب عشرون ميلاً، ومن بنات حرب إلى الجسداء اثنان وعشرون ميلاً، ومن الجسداء إلى بيشة إحدى وعشرون ميلاً، ومن بيشة إلى تبالة أحد عشر ميلاً، ومن تبالة إلى القريحاء اثنان وعشرون ميلاً، ومن القريحاء إلى كرى ستة عشر ميلاً، ومن كرى إلى تربة خمسة عشر ميلاً، ومن تربة إلى الصفن اثنان وعشرون ميلاً، ومن الصفن إلى الفتق ثلاثة وعشرون ميلاً . ويتحدث ابن خرداذبة، وقدامة، والادريسي، عن الطريق السروية التي تربط بين الطائف شمالاً وحواضر اليمن الكبرى جنوبًا، والتي كانت أنشط الطرق الواصلة بين الحجاز واليمن، فكانت تستخدمها الجيوش في أثناء ذهابها وإيابها ما بين البلاد الحجازية واليمانية، بل كان يستخدمها التجار وموظفو الدولة، كالأمراء والقضاة، والعلماء وجباة الزكاة وغيرهم، ولهذا فقد أشاروا إلى رخاء بعض المحطات التجارية التي

كانت على طول الطريق، "فابن خرداذبة" أشار إلى أن الفتق وتربة قريتان كبيرتان، أما تبالة وبيشة فذكر أنهما مدينتان كبيرتان بهما من العيون والنخيل الشيء الكبير وأورد بيت شعر عن بيشة لحميد بن ثور الهلالي يقول :

إذا شئت عنتني بأجزاع بيشة إلى النخل من تثليث أو من يبمبما

ويورد لنا "ابن قدامة" معلومات أكثر دقة من "ابن خرداذبة" حيث عدد الأماكن الذي ذكرها "الهمداني" وأعطى بعض الأوصاف الحضارية لبعض تلك المحطات فقال: ... ومن الفتق إلى تربة ... إلى أن قال: ومن رنية إلى تبالة قرية عظيمة كثيرة الأهل مضرية لقيس، وفيها من عيون وآبار ... ومن بنات حرب إلى يبمبم منزل في صحراء فيه بئر واحدة عذبة، وليس به أهل وحوله أعراب من خثعم، وبينهما جرش نحو أربعة عشر ميلاً ومنه إلى كتبة.

وقد أطلق على هذا الطريق الواصل بين اليمن والحجاز عدة أسماء منها:

٥-الطريق الجبلي : بحكم أنه يصعد إلى الجبال مخترقا السلسلة الوسطى من جبال اليمن طولًا، ويسير من عدن إلى ذمار وصنعاء، وصعدة وبيشة، ومنها إلى الطائف.

٦-طريق السلطان: أو الجادة السلطانية، لكونها الطريق الرئيسي الذي كان محل اهتمام الخلفاء المسلمين الأوائل، وإلى الغرب من الطريق السابق وعبر بلاد السراة يأتي طريق آخر وتخرج من بلاد قحطان (سراة جنب) ثم أجزاء من شهران وعسير شمالًا " مخلاف جرش قديمًا " ثم سراة الحجر، فسراة غامد و زهران حتى تصل الطائف ومكة المكرمة في الحجاز، وهذه الطريق الثانية تأتي عبر قمم جبال السروات ويطلق عليها سكان السروات (طريق الحجاج أو محمل الجبال) .. وهذه الطريق لا زالت آثارها ماثلة للعيان بل لا زال كبار السن في هذه البلاد يذكرون دروبها ومسالكها. ونجد جادة السلطان وكيفية خروجها من بلاد اليمن عبر جبال السروات، ولكن في بلاد قحطان (سراة جنب) وبلاد عسير (سراة عنز) يتم تفريعها إلى ثلاث طرق هي :

١) طريق السلطان : السابق الذكر، ويأتي عبر بيشة وتبالة وتربة حتى الطائف ومكة المكرمة.

٢) طريق آخر : في شمال أبها حاضرة عسير عبر عقبة تيه.

٣) طريق الحاج : عبر جبال السروات ويقول الحجري في هذا الطريق: "... ومن جبال عسير طريق حاج اليمن من جهة صعدة، يخرجون بلاد الحرجة من سنحان، ثم الوقشة من بلاد عبيدة، ثم درب سلمان بعبيدة ثم درب العقدة لرفيدة، ثم ذهبان بلاد آل رشيد ، مريع بن الحفارص، ثم شهران شرقي أبها على نحو ثلاث ساعات، ثم المجزعة من شهران، وهذه الطرق التي ذكرت عند المتقدمين لازالت آثارها الباقية في كثير من المواطن ماثلة للعيان بل لازال هناك الكثير من النقوش والكتابات والرسوم التي تثبت مرور العديد من التجار والحجاج وغيرهم عبر تلك الطرق[١].

٧- وهذه الطرق التي ذكرت عند المتقدمين لازالت آثارها الباقية في كثير من المواطن ماثلة للعيان، بل لا يزال هناك الكثير من النقوش والكتابات والرسوم التي تثبت مرور العديد من التجار والحجاج وغيرهم عبر تلك الطرق[٢].

ونظرًا لأهمية هذا الطريق وارتباطه بمحمل الحجيج في العهد العثماني، فلابد لنا من أن نتوقف برهة لنقدم صورة مختصرة عن المحمل من بداية خروجه من صنعاء وحتى يصل مكة عبر هذا الطريق.

كان الحجاج اليمنيون يتوجهون إلى مكة منذ أوائل شهر شوال ويستمرون حتى أواخر شهر صفر. وقد اكتسبت قافلة الحج اليمنية منذ ولاية مصطفى باشا النشار الطابع الرسمي[٣]، وعلى الرغم من اهتمام الدولة العثمانية وولاتها فإن محمل الحج اليمني لم يكن منتظمًا، بعكس بقية محامل الولايات الأخرى، ويرجع السبب إلى العلاقات السيئة بين العثمانيين واليمنيين في تلك الفترة، وكره اليمنيين للقيود والأوامر. ولم تنتظم قافلة الحج اليمني بإدارة العثمانيين خلال الفترة الأولى (١٥٣٨ . ١٦٣٥م) أكثر من ثلاثين عامًا بشكل متقطع وتعتبر فترت أزدمر باشا (١٥٤٩ . ١٥٥٥م) ومصطفى باشا النشار الثالث من أكثر الفترات هدوءًا واستقرارًا، فانعكس هذا على انتظام قافلة الحج وكانت إمارة القافلة (المحمل اليمني) وقفًا على بك كوكبان بالدرجة الأولى، أو على أمن بكوات الصناجق، وفي

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٤٧-٣٥٩.

(٢) جريس، نجران دراسة تاريخية، مصدر سابق، ص٣٣٥ وما بعدها.

(٣) عامر، محمود (الدكتور)، مقالة في مجلة الإكليل رقم ٢٢، السنة الثالثة عشر، العدد الأول (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ص٣٥-٣٦.

حالات كثيرة كان يعهد الوالي لنائبه بقولي قبولي قيادة المحمل أو شخص يتفق عليه مجلس الولاة، وينال ثقة المفتي والقاضي، وكان القاضي المكلف بمرافقة المحمل -القافلة- من السكان المحليين وفي حالة عدم وجود قاضي محلي بارز وثقة، يظهر القاضي المعني من قبل استانبول لمرافقه القافلة، ويرافق القاضي مفتي الولاية ونائبه والذي يجب أن يكون بالضرورة من اليمنيين[1]، وبعد اكتمال الإعداد يتجهزان للمحمل أو قافلة الحج وتكون نقطة الانطلاق هي صنعاء حيث تتحرك القافلة منها في أواخر شهر شوال من باب شعوب حيث تقام الأفراح قبل أسبوعين من انطلاقها وفي الوقت المحدد لتحرك المحمل فينهض القاضي والدفتردار لتفقد القافلة من خلال السجل الذي بين أيديهم، وما إن ينتهي التفقد حتى يأتي أمير الأمراء مع كبار ضباطه، ولدى وصوله يشير الدفتردار إلى الفرقة الموسيقية فتنفخ الأبواق وتنتظم القافلة فتقرأ الفاتحة، وتردد الأناشيد الدينية وتنطلق القافلة وسط الزغاريد الممزوجة بالدموع من قبل المودعين، ويتقدم قائد المحمل إلى أمير الأمراء ليقسم يمين الولاء والمحافظة على الحجاج، وبذل جهوده كاملة ... ثم يتجه إلى مقدمة القافلة وأمامه الراية، وعلى يمينه القاضي وعلى يساره المفتي، أما قائد الجردة فينطلق عساكره بإحاطة موكب الحجاج من جميع الجهات.

وهكذا يستمر تنظيم القافلة على نفس المنوال التي كانت عليه بعد خروجها من صنعاء إلى أن تصل يلملم، وهناك يفارق قائد الجردة القافلة بقواته عائدًا إلى منطقة كتنة منتظرًا القافلة حتى انتهاء فترة الحج، أما الحجاج فيسمرون في يلملم للإحرام ثم ينطلقون باتجاه البيت الحرام. ويرافقهم بعض العساكر المخصصة لقيادة الدواب التي تحمل المؤنة والمياه ويتولى المقدمة قائد المحمل وعلى جانبيه القاضي والمفتي .

وقبل بلوغهم مكة بمسافة يكلف قائد المحمل شخصًا أو شخصين بالإسراع إلى مكة لإبلاغ الشريف بقدوم المحمل اليمني، وعلى الفور يهيئ شريف مكة المكان المخصص لحجاج اليمن، وبعدها يتوجه للقائها واستقبالها بالمراسيم الرسمية[2]. ليقضِ الحجاج تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق، وفي الوقت المحدد لعودة القافلة بخروج أمير الأمراء مع كبار ضباطه وأدائه إلى خارج صنعاء ، وبرفقته الفرقة الموسيقية، ولدى ظهور راية المحمل

(١) المصدر نفسه، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨.

تبدأ الزغاريد وإطلاق النيران ويتدافع أهل الحجاج إلى المنطقة لاستقبال الحجاج، وتشهد كافة المناطق التي مرت بها القافلة (المحمل) أفراحًا وأعراسًا لا مثيل لها وبخاصة مدينة صنعاء، حيث تستمر الأفراح والزينات فيها لمدة أسبوعين أو ثلاثة أسابيع[1].

ولعل ما يهمنا من أمر (المحمل) قافلة الحج اليمني، هو الطريق الذي أشرنا إليه والذي سمي بطريق الحاج من صنعاء إلى مكة، إذ نجد أن الطريق الذي سلكته القافلة (المحمل) وكما ورد في الوثائق والمصادر العثمانية:

يبدأ من صنعاء ريده – أثافت – خيوان – العمشية – صعده – الفرقه – أريب – سروم – الفيقى – كتنة وهي أول الحجاز ومنها إلى الهبرة – بنات مرب – الجسود – بيشه – تبالة – القريحا – كارتربة – العفين– الفتق وهي أول الطائف ثم رأس المناقب – قرن دفه – الزيمة أو الذيجة ثم مكة.

وبعض الدفاتر تذكر صنعاء – ريده – خمر – خيوان – صعده – ضحيان سروم – كتنة – تباله – القريحا – كارتربه – الفتق وتقف هنا والبعض الآخر يذكر صنعاء الحديدة عبر التهائم ثم إلى جيزان[2].

(١) عامر، المقالة (المحمل).

(٢) المصدر نفسه، ص٣٨.

جانب من كسوة الكعبة لا يزال موجوداً إلى الآن ٢٠٠٨م

موكب المحمل اليماني الشريف وصرة الأموال الخيرية المرسلة إلى الحجاز

الاحتفال الرسمي أمام دار الولاية بصنعاءفي موكب الحج السنوي

جانب من العرض العسكري للجيش اليمن الإسلامي أمام دار الولاية في ميدان البكيرية الذي كان يقام أمام المحمل اليماني الشريف بصنعاء في موكب الحج السنوي ١٩٠٧

جانب من الاحتفال الرسمي بموكب الحج السنوي أمام جامع قبة البكيرية

هكذا كانت الموسيقى العسكرية تتقدم المحمل اليماني الشريف

بعض عمال المصنع وجانب من صناعة النسيج والسجاد وكسوة الكعبة بصنعاء

٨- وهناك طرق أخرى للحجاج السرية والبحرية وما يهمنا منها هو

٩- طريق المحمل الذي يمر بأرض قبائل شهران ذكرناه بالتفصيل سابقًا.

كما يعد الطريق البحري أحد أهم وسائل الاتصال بين بلاد تهامة والسراة بما فيها شهران العريضة وبين العالم الخارجي[1].

١٠- الموانئ التي تستخدمها شهران في تجارتها:

نظرًا لتوسع بلاد شهران وتنوع أقسامها التضاريسية فقد كانت هناك طرق برية تربط أجزاء البلاد ببعضها البعض، وأخرى تربط البلاد نفسها مع المناطق المجاورة لها، والطرق البرية الداخلية في المنطقة كثيرة ومتعددة فلا توجد مدينة أو قرية أو عشيرة إلاَّ وترتبط بطريق تعتبر أداة التواصل بينها وبين مثيلاتها، ونتيجة لهذا التوسع وتنوع المنتجات وحاجة أهلها إلى تبادل السلع والمحاصيل الزراعية فقد كان لزامًا عليهم اعتماد طرق تسهل لهم كل ذلك، وكون بعض الأجزاء من بلاد شهران تطل على البحر الأحمر أو تقع قريبًا منه، فقد وُجِدَ

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٦٠.

نشاط بحري بين سكان هذه المنطقة وبين التجار الذي يأتون من بعض الموانئ الغربية للبحر الأحمر مثل تهامة شهران.

ومن أهم الموانئ التي كانت تطل على ساحل البحر الأحمر من الجهة الشرقية وتقع قريبًا من بلاد شهران ، ميناء جازان، البرك، والقنفذة، الليث، الشقيق، وكذلك كان لها اتصالات وعلاقات تجارية بالموانئ الأخرى إضافة إلى وجود عدد من الموانئ المطلة على البحر الأحمر مثل :-

١. ميناء الشعيبة: الذي ذاع صيته منذ العصر الجاهلي، ولكن قلت أهميته في عصر الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بعد تشييد ميناء جدة ٢٦ هـ الذي أصبح واحدًا من أهم المراسي العالمية في أواخر العصور الإسلامية الوسيطة.
٢. ميناء القنفذة: إلى الجنوب، وكان من الموانئ القديمة ولم تظهر أهميته إلا أواخر العصر الإسلامي الوسيط.
٣. موانئ أخرى: إلى الجنوب، مثل (السرين، والبرك، وملي، والقحمة، وجازان، والموسم، وغيرها.

وكل هذه الموانئ كانت معروفة منذ صدر الإسلام، وبعضها من العهد الجاهلي، وكثير من كتب التراث أشارت إلى أهمية هذه الموانئ ونشاطها التجاري خلال العهود الإسلامية الوسيطة. وأكدت أن أهل تهامة والسراة قد استخدموها لتصدير منتجاتهم التي كانت تصدر لهم من الهند والصين وعدن وبعض بلدان أفريقيا وأوربا[١].

وقد أشار السير "كيناهان كورنواليس "[٢]إلى استيراد سكان إقليم عسير -ومنهم شهران- للبضائع من البحر فذكر أن: (القنفذة، والبرك، والشقيق، وجازان، وميدي، هي خمس موانئ تمر منها البضائع إلى سكان إقليم عسير، وتقوم القنفذه بتوريد المواد التركية إلى هناك وإلى أبها، وأكثر التجارة أهمية هي تجارة الأسلحة والذخيرة...) [٣]، وقد شجع ذلك

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٦١.

(٢) كتاب" عسير قبل الحرب العالمية الأولى " للمستشرق "كيناهان كورنواليس " ، ترجمة وتحقيق وتعقيب / علي بن سعد آل زحيفة الشهراني ، الطبعة الثانية .

(٣) كورنواليس، مصدر سابق، ص١٠٧، ١٥٥. وجريس، عسير دراسات تاريخية، ص١٥١.

الشهرانيين على مزاولة التجارة عبر هذه الموانئ – منها وإليها–، أمور عدة منها: أهمية موقع شهران العريضة الجغرافي، وكثرة الأسواق التي تمارس فيها التجارة، وكثرة الواردات والصادرات الهامة، وهذا ما يؤكده الدكتور غيثان جريس بقوله: " أما المقومات البشرية فتتركز في قوة وعزم الرجال، وهم صفتان مميزتان لرجال تهامة والسراة، علاوة على قوة صبرهم وتحملهم وقناعتهم، مما جعلهم يحرصون على كسب أرزاقهم من كدهم، ومما أنعم الله عليهم من خيرات شتى، علاوة على مهارتهم الفائقة في التجارة، وما يتصل بها من نشاطات سواء على مستوى المواطن التي عاشوا فيها، أو على مستوى المدن، فازدهرت تجارتهم الداخلية منها والخارجية[1].

١١– الأسواق التجارية، أنواعها ووظائفها:

هناك كثير من الأسواق التي تقام في ساحات المدن والقرى، وعلى الرغم من كثرتها وتنوعها إلَّا أنَّ الغالب عليها هو نظام الأسواق الأسبوعية. التي كانت تقام في يوم معين من أيام الأسبوع، وكان هذا النوع من الأسواق أكثر شهرة وذيوعًا، لاسيما في المدن والقرى الصغيرة، فكان لكل قبيلة أو عشيرة ... سوق يقام في أرضها، ويسمى باليوم الذي يقام فيه "سوق الجمعة، سوق السبت، سوق الاثنين ..."، وهكذا نسبة إلى اليوم الذي يقام فيه السوق من كل أسبوع. ولم تكن وظيفة الأسواق تقتصر على مزاولة البيع والشراء، وإنما كان الناس يتداولون فيه الآراء، ويتناقلون الأخبار، ويتم فيه الوعظ والإرشاد. وأغلب الأسواق يكون فيها مكان مرتفع يسمى بـ(الراية) يستخدم للوعظ أو الإعلان من فوقه عن خبر معين، ويذكر أن أهل تهامة والسراة كانوا يستخدمون مثل هذا المكان في رفع العلم الأبيض لمن فعل أمرًا حميدًا يشكره الناس، وينوهون بفضله، وقد يرفعون علمًا أسودًا لمن غدر، أو لم يفِ بالتزاماته نحو عشيرته، أو غيرهم[2].

والسوق الواحد يكون في مكان محدد من أرض القبيلة وقد عرفت الأسواق المتخصصة، حيث كان السوق الواحد يضم عدة أسواق، كل منها قائم بذاته على بيع

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٤٧.

(٢) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٧٠.

وشراء سلعة معينة، فكان هناك سوق للحبوب، وآخر للماشية، وثالث للبر، وغيرها لبيع أغراض أخرى متنوعة[١].

وإلى جانب ذلك عرفت تلك المناطق أيضًا بـ "الأسواق الدائمة" حيث شهدت بعض الأسواق وجود حوانيت ومحال صغيرة في أطرافها، وخاصة في الأسواق الكبيرة بالمدن مثل:- نجران ،جرش ،بيشة ،وغيرها.

وكانت هذه الأسواق تقوم على غرار الأسواق الإسلامية في العصور الوسطى بالمدن والحواضر الكبرى[٢].

وقد توافر في هذه الأسواق الكثير من السلع المحلية كالحبوب بأنواعها، والصناعات اليدوية المتنوعة كأدوات الزراعة، والتجارة، والحدادة، والمنسوجات، والجلود بأنواعها وغيرها. وغالبًا ما كانت تصدر هذه السلع من الحواضر والمراكز الحضارية المتعددة في أرض تهامة والسراة، وذلك لتوفر الزراعة عندهم، أما أهل البادية والأرياف فكانوا يتاجرون في بعض الحيوانات الأليفة التي توجد لديهم مثل : الإبل، الأبقار، الأغنام، الماعز، كما كانوا يتاجرون في منتجات تلك الحيوانات مثل : السمن، الزبدة، الأصواف، الجلود.

كما تعد الخضروات والفواكه من السلع المهمة التي توافرت عند أهل هذه البلاد نظرًا لكثرة زراعتها وخصوبة أراضيها ...، ويأتي في مقدمة هذه السلع: الكروم على أنواعها، والرمان واللوز، علاوة على بعض السلع الأخرى كالسمن والعسل[٣].

كما ذكرت المصادر وفرة المزروعات في بلاد السراة مثل : بيشة، وجرش، ونجران ونوهت بعدد من مواطن وفرة الفواكه والتمور بها، وأشادت بها دلالة على شهراتها الزراعية بتمور بيشة ... وجودتها. فقد أشار "الهمداني" عندما وصف بعض أنواع التمور المنتجة ومدح جودتها فذكر أنها على نوعين:

١٢- المدبس، القسب، ولا توجد إلا ببلاد السراة وخاصة في نجران وبيشة، كما أشار الهمداني بأرض تهامة والسراة وخصوبتها التي تبرز في تنوع ووفرة محاصيلها

(١) جريس، دراسات.

(٢) نفس المصدر.

(٣) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٧٥-٣٧٧.

الزراعية التي عدد بعضها مثل (البر، الشعير، التفاح، الخوخ، الكمثرى، العسل)[1].

كما تحدث "فليبي" عن الأسواق الأسبوعية وانتشارها في جميع أنحاء عسير، فيذكر أسواق في كل من قريتي الروشن ونمران ...ويذكر أسواقًا أخرى أسبوعية في الطريق المؤدية من بيشة إلى خميس شهران ومدينة أبها[2].

كما ذكر فليبي أسماء العديد من الفنون الصناعية (الصناعات اليدوية) الموجودة في الأسواق العسيرية، مثل صناعة الحصر والحبال من سعف النخل في بيشة، والصناعات الخشبية، والحديدية، والجلدية، والحجرية، والفخارية وغيرها، وجميع المواد الأولية المستخدمة في إنتاج هذه الصناعات كانت متوفرة في البيئة العسيرية[3].

١٣- عملة شهران قديمًا.

إن مما يمكن الجزم به أن قبيلة شهران العريضة لم تعش بمعزلٍ عن العالم المحيط بها، حيث تأثرت بكل الحكومات المتعاقبة عبر تاريخها الطويل، نظرًا لأهمية موقعها على طريق التجارة – البرية والبحرية–، وكثرة وتنوع منتجاتها المشهورة والمطلوبة، وكون بعض رجالاتها قد لعبوا أدوارًا حقيقية عبر العصور المختلفة، فأثرت وتأثرت وسرى عليها ما يسري على جميع البلدان الأخرى في التعاملات والتبادلات التجارية وغيرها، وتماشت مع كل المستجدات التي تطرأ على الساحة العربية وخاصة جنوب الجزيرة العربية، ومن خلال استقصائنا لطريقة البيع والشراء والتبادلات التجارية لقبائل شهران بين بعضها البعض أو مع غيرها، وجدنا أن عملية المقايضة كانت الأداة الرئيسية في البيع والشراء، حيث كانت من أهم وسائل التعامل التجاري، وقد لجأ إليها التجار لإبرام الصفقات التجارية نظرًا لقلة العملة الذهبية في أسواقهم، فاستعاضوا بها عن النقد، وكانوا يعمدون إلى تقدير قيمة البضائع بالدنانير الذهبية عند إتمام إجراءات المقايضة، وقد شملت المقايضة كل أنواع السلع المتبادلة في الأسواق. وقد نص ابن جبير على شيوع المقايضة كوسيلة للتعامل التجاري

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٧٧.

(٢) جريس، بحوث، مصدر سابق، ص١٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص١٤٧.

أساسية بين تجار السروات وأهل مكة بشكل صريح فيقول: "ومن العجب في أمر هؤلاء المائرين أنهم لا يبيعون من جميع ما ذكرناه بدينار ولا بدرهم، وإنما يبيعونه بالخرق والعباءات والشمل ...." [1].

وبتطور الأحداث وتسارعها وجدنا ضرورة استخدام العملات التي أوجدتها الحكومات والدول على مرِّ العصور بدءًا بعصور ما قبل الإسلام ثم العصور الإسلامية (النبوي – الراشدي – الأموي – العباسي) ومرورًا بالعهد العثماني وانتهاءً بالعهد السعودي.

وكان شأن شهران شأن غيرها من استخدام الدينار والدرهم والمصكوكات الأخرى، بل إنَّ أوضح ما يكون هذا التطور والتداول في العهد العثماني، نظرًا لتعددها وكثرة مصادرها، حيث نجد تداول العملات المختلفة على نطاق واسع سواءً كانت في مصر أو في بعض المراكز الكبرى في الدولة العثمانية، أو المصكوكة في أوروبا، ورغم اختلافها وتعددها إلاَّ أن العملة العثمانية ظلت هي الرئيسية تقاس بها العملات الأخرى المعاصرة لها.

وتعد وحدات النقد العمود الفقري، فهي تمثل سلطة الدولة وشرعيتها، وتمنح المستهلك قوة شرائية عامة، ومرونة قصوى في سبيل تحقيق مطالبه وإشباع رغباته الشرائية، وقد عرفت أسواق تهامة والسراة ..... التعامل النقدي كواحد من أوجه التعامل المختلفة التي سادت في الأوساط التجارية في العصور الوسطى الإسلامية، لاسيما ما يتعلق منها بالتبادل التجاري بينها وبين أقطار العالم الخارجي ذات العلاقات الاقتصادية معها. ويمكننا أن نقسم الوحدات التي سادت أسواق شبه الجزيرة ... إلى ثلاث وحدات نقدية هي:-

١. النقود الذهبية (الدينار) ويمثل الوحدة النقدية الرئيسية لاسيما في المعاملات والصفقات التجارية الكبرى.
٢. النقود الفضية (الدراهم) وكانت تجري بها عمليات البيع والشراء في الأسواق الداخلية ولاسيما السلع الغذائية.
٣. النقود النحاسية (الفلوس) وهي بمثابة الوحدات النقدية المساعدة.

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٨٣.

وقد أشارت المصادر إلى أن العملة التي استخدمها تجار بلاد الحجاز واليمن في تجارتهم الداخلية والخارجية ومنها تجارتهم مع بلاد تهامة والسراة ، كانت هي العملة الذهبية السائدة في العالم الإسلامي خلال العصر الإسلامي المبكر وبالتحديد زمن الدولتين الأموية والعباسية[1].

ومن أهم تلك العملات التي تم تداولها في شهران خلال العصر العثماني ما يلي:

- ريال (ماریاتریزا) والذي عُرف محليًا باسم الريال الفرانسه (الفرانصي)، وهو عبارة عن قطعة نقدية من الفضة، تصل قيمتها في بعض الأحيان ١٢ قرشًا عثمانيًا، وعرف من هذه العملة فئة أبو طاقة وقيمته عشرون قرشًا عثمانيًا.
- ثلت أبو حوته: المصنوع من النيكل وقيمته قرش وأحيانًا نصف قرش تركي.
- العملات التركية: – البارة: القرش التركي الواحد والقرشان.
- العملة المجيدية[2]: فئاتها – الربع المجيدية، تساوي خمسة قروش، ونصف المجيدية، وتساوي عشرة قروش، والريال المجيدي، وتساوي عشرين قرشًا.
- الليرة الذهبية: وتساوي مائة وعشرة قروش تركية.
- البقش: اسم لجميع العملات المعدنية "أصغر وحدة من وحداتها".
- الجنيه الإنجليزي: عرف محليًا باسم أبو خيال ويرغبه السكان أكثر من العملات الأخرى وتساوي قيمته مائة وعشرين قرشًا تركيًا.
- الجنيه المصري الذهبي: وكان أعلى العملات قيمة في ذلك الوقت بعد الجنيه الإنجليزي ويساوي مائة قرش[3].

وما إن اعتلى الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آ ل سعود – رحمه الله– عرش المملكة العربية السعودية وثبت أركانها وقوى سلطانها، ووسع نفوذها وأحسن استغلال مواردها، رغب أن تصبح للبلاد عملة خاصةً بها فأمر بحفر كلمة "الحجاز" أو "نجد" على ريال ماریاتریزا، وأيضًا على بعض النقود الفضية العثمانية من فئة أربعين أو عشرين ياردة

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٨٣.

(٢) نسبة إلى السلطان عبد المجيد الأول العثماني.

[3]، عسير دراسة تاريخية، ص١٨١-١٨٧.

المضروبة بالقسطنطينية عام ١٣٢٤هـ – ١٩٠٦م، وكذلك الروبيات الهندية وغيرها، لكن ابن سعود رأى أنه لابد مما ليس منه بد فضرب نوعين من النقود في عهده هما:

أ- النقود المعدنية.

ب- النقود الورقية (الذهبية، الفضية، النحاسية، النيكل)[١]، على فترات مختلفة، نصف وربع القرش – فئة الريال- جنيه الذهب العربي السعودي.

أما وضع العملات السابقة للنقود العربية السعودية فقد بقي بعض منها في متناول أيدي الناس، وخاصة في التعامل الخارجي مع التجار خارج البلاد، ثم حددت أسعار تلك العملات بالقرش السعودي في عام ١٣٤٩ هـ/م١٩٣٠ على النحو التالي :-

- الريال العربي السعودي ٢٢ قرشا دارجًا.
- الجنية الإنجليزي ٢٢٠ قرشا دارجًا.
- الليرة العثمانية ١٩٠ قرشا دارجًا.
- الريال الفرانسي (نمساوي) ٢١ قرشا دارجًا.
- الروبية الهندي ١٥ قرشا دارجًا[٢].

نخلص مما سبق إلى أن العملة في بلاد شهران مرت بعدة مراحل تمثلت في التالي:

١. مرحلة المقايضة في البيع والشراء وقد استمرت فترة من الزمن في وقت وجود بعض العملات.
٢. مرحلة استخدام العملات المتداولة، عصور ما قبل الإسلام (الدينار الرومي، والدرهم الفارسي)، العصور الإسلامية،العملة الإسلامية (الدرهم والدينار وغيرها).
٣. مرحلة استخدام العملات العثمانية والمعاصرة لها (الفرانسي – الجنيه الإنجليزي – الجنيه المصري الذهبي – الريال المجيدي وفئاته – الليرة العثمانية – الروبية الهندية) وغيرها.

(١) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص١٨١-١٨٧.

(٢) جريس، عسير في عصر الملك عبد العزيز، ص٢١٠.

٤. مرحلة ظهور النقد السعودي (العملة السعودية) والتي بدأت برغبة الملك عبد العزيز بن سعود –رحمه الله– أن يصبح للبلاد عملة خاصة بها (حفر كلمة نجد والحجاز على بعض العملات المتداولة) ثم انتقلت تلك الرغبة إلى التنفيذ فضرب النقود بنوعيها المعدنية والورقية على فترات متعاقبة.

٥. وأخيرًا الاستقلال الكلي للنقد السعودي بل ووضع قائمة بقيمة كل عملة مقابل الريال السعودي.

ومن خلال المقابلات التي أجريناها مع زعماء ومشايخ قبائل شهران حول العملة التي كانت تستخدم في قبائلهم وجدناهم قد أجمعوا على بعض العملات، وهي: الفرانصي، والجنيه العربي، والميري، والريال العربي، ثم الريال السعودي. أنظر الجدول رقم (٤).

جدول رقم (٤) يوضح أهم العملات عند قبائل شهران العريضة

المنازل	اسم القبيلة	أهم أنواع العملات
خميس شهران	آل الرشيد	**قديمًا: الفرانصي، الجنيه العربي، الميري، العربي.** **حديثًا: الريال السعودي**
	آل الغمر	**قديمًا: الفرانصي، الجنيه الذهب، الريال العربي.** **حديثًا: الريال السعودي**
	آل عامر	**قديمًا: الفرانصي** **حديثًا: الريال السعودي**
[illegible]	بني واهب	**قديمًا: الفرانصي، الميري.**

المنازل	اسم القبيلة	أهم أنواع العملات
		حديثًا: الريال السعودي
	بني منبه	قديمًا: الفرانصي، العربي المجيدي. حديثًا: الريال السعودي
	معاوية	قديمًا: المجيدي، الفرانصي، الريال العربي. حديثًا: الريال السعودي
	الرمثين	قديمًا: الفرانصي، العربي، الجنيه، الميري التركي. حديثًا: الريال السعودي
	بنس سلول	قديمًا: الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	الفزع	قديمًا: الفرانصي، الميري، العربي. حديثًا: الريال السعودي
تندحة ببلاد شهران	كود	قديمًا: الفرانصي، الميري. حديثًا: الريال السعودي
	آل عجير	قديمًا: الفرانصي، جنيهات عبد العزيز قديمًا. حديثًا: الريال السعودي

المنازل	اسم القبيلة	أهم أنواع العملات
	بني سامة	قديمًا: الفرانصي، العربي. حديثًا: الريال السعودي
	آل الزلال	قديمًا: الفرانصي، الميري، العربي. حديثًا: الريال السعودي
	آل الحجاج	قديمًا: الفرانصي، الجنيه، العربي. حديثًا: الريال السعودي
يعرى والقاعة، تندحة، بيشة شهران	ناهس	قديمًا: الميري، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
مركز بن هشبل	بني بجاد	قديمًا: الميري، العربي، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	بني قحافة	قديمًا: الميري، العملة العربية، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
شعف شهران	بني مالك	قديمًا: الميري، العربي، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	آل سرحان	قديمًا: الميري، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي

المنازل	اسم القبيلة	أهم أنواع العملات
	بني جابرة	قديمًا: الميري، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	آل القرعاء	قديمًا: الميري، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	آل المسقى	قديمًا: الفرانصي، الجنيه الفضة. حاليًا: الريال السعودي
تهامة شهران	الحقو	قديمًا: الميري، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	الجهرة	قديمًا: الميري، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي
	بني ماجور من بني مالك شهران	قديمًا: الميري، العربي، الفرانصي. حديثًا: الريال السعودي

(ملاحظة: الفرنك الفرانصي هو نفسه الفرنك الفرنسي، لكن تعارف الناس في المنطقة على تسميته بالفرانصي)

- **الموازين – المكاييل والمقاييس**

١–الموازين

١) المن : وهو وحدة الميزان الرئيسي في هذه المناطق ويطلق عليه أحيانًا مسمى (رطل) وكان الرطل الملكي يساوي مائتي درهم، وكانت معظم السلع التجارية وفي مقدمتها العطور والحلويات والعسل، وكذا الثياب الحريرية تباع في بلاد تهامة والسراة بالرطل أو المن.

٢) الأوقية حددها من المحاور (٢١ ١/٣) درهم.

٣) البيعة حددها من المحاور بمائة من الدراهم.

ب –المكاييل

١) المُد : يبلغ وزنه خمسة أرطال وثلثًا أو ما يعادل ربع الصاع، ويستخدم وحدة كيل للتمور والغلال وسائر الأطعمة.

٢) الصاع : يستخدم في بيع الحنطة وسائر الحبوب ويقدر بأربعة أمداد.

ج –المقاييس: أهم وحدات قياس الأطوال المستخدمة في أسواق تهامة وهي:–

١) الذراع وأنواعه (يدوي – حديدي)

٢) أخرى: قدم الإنسان وخطوته، شبر الكف، الباع، الميل.

٣) القفيز: من المكاييل القديمة المستخدمة ... عند سكان الجزيرة العربية لتقدير كميات الأشياء الجامدة ويتسع لنحو عشرة جالونات.

٤) الوسق: وهو من أدوات المكاييل ويقدر بـ (٦٠) صاعًا وقيل: هو حمل بعير أو مائة وستون منًا، ويذكر أن خمسة أوسق هي خمسة عشر قفيزًا ، والوسق الواحد يقدر بـ (٣٢٠) رطلاً عند أهل الجزيرة العربية وخاصة سكان الحجاز.

٥) الصبرة: مما جمع من الطعام بدون كيل أو وزن، بعضه فوق بعض ... ومن ذلك بيع الصبرة من التمر، وقد نهى الإسلام عن هذا النوع من البيع.

٦) الفرق: هو مكيال في الجزيرة العربية، ويذكر أن الفرق هو مكيال لأهل نجران واليمن وبلاد السروات.

وقد أشار "فلبي" إلى بعض الأوزان التي شاهدها في الأسواق العسيرية، فذكر أن الصاع والأقة كانت الأوزان السائدة في البلاد، ونوه إلى أن الأقة تعادل في وزنها (٤٥) ريالاً أو (٤٠٠) درهمًا، ثم أن كل (٣١٢) درهمًا تساوي واحد كيلو غرام، أما الصاع فيساوي ثلاث أقات أو أربعة كيلو غرامات. ويلاحظ أن المقايضة كانت من أهم أساليب التعامل في الأسواق العربية، إلا أن ريال (ماريا تريزا) الذي عرف محليًا باسم الريال الفرانسة، كان متداولًا بكثرة بين العسيريين، وقد انتشر تداول هذا الريال من فئتين، الزلطة الواحدة ونصف الزلطة[1].

(١) جريس، دراسات، مصدر سابق، ص٣٦٢–٣٩٠.وجريس، نجران، مصدر سابق، ص١٤٥–١٤٦.

المبحث الثاني : الحياة الاجتماعية لقبيلة شهران العريضة.

١- العادات والتقاليد والأعراف.

إن مجتمع شهران له عاداتٌ وتقاليدُ اجتماعية توارثها عن الآباء والأجداد وسار عليها الأبناء والأحفاد حتى أصبحت سمة مميزة لمجتمع شهران لا يشاركه فيها مجتمع آخر، وذلك لأنه مكون من عدة قبائل، ولكل قبيلة نمط معين في المعيشة، وبعضها يقيم في الحاضرة، وبعضها يقيم في البادية، وكل قبيلة من قبائل المنطقة وغيرها لها طبع خاص، ونتيجة لهذه التباينات والاختلافات يتحتم علينا بسطها على النحو التالي:-

- عادة الكرم والضيافة.

يعتبر مجتمع شهران مجتمع الكرم والضيافة، وهي عادة متوارثة جيلًا بعد جيل، ولعل من أهم مظاهر التعاون لديهم في أمور الضيافة؛ أنه إذا حلَّ في إحدى القبائل ضيف، فإن القبيلة ترتب ضيافته بحسب اتفاق فيما بينهم، ويخضع لتداول مستمر بين أفراد القبيلة، ويقول الشيخ أحمد بن محمد بن مفرح أبو حماد الشهراني في ذلك: أما الضيوف الخاصِّين لأي شخص من أفراد القبيلة فلنا فيه عادة، وهي وضع ما يسمى الحظاط: الذبائح، والعباء: البر والسمن والعسل والتمر، يقوم أفراد القرية بهذا الحظاط والعباء بمساعدة المضيف بتقسيم الضيوف إلى عدة فرق بمعدل خمسة أشخاص لكل فريق أو فرق، يوزعون على أفراد القرية على قدر أحوالهم[1].وقد قال شاعر شهران في إكرام الضيف وهو الشاعر ابن الدمينة :

أبيت خميص البطن غرثان جائعًاوأوثر بالزاد الرفيق علي نفسي[2]

- عادة الاستقبال.

من عادة الشهرانيين إذا زارهم أحدٌ فيجب عليهم الاحتفال باستقباله وذلك بأن يخرج أهل القبيلة أو الحي مسافة أربع أو خمس مائة متر، وهم متقلدون أسلحتهم الحربية ويجلسون صفًا على هيئة الاستعداد للحرب على إحدى الركبتين، فإذا اقترب الزائر منهم يحيط به

(١) في العادات والتقاليد، مقابلة مع الشيخ: أحمد بن محمد بن مفرح أبو حماد الشهراني، شيخ بني جابرة، عام ١٤٢٦/١٢/٥هـ

(٢) ديوان "ابن الدمينة "، ص ٢١٦ ،الطبعة الثالثة ، تحقيق / علي بن سعد آل زحيفة الشهراني

هؤلاء بشكل نصف دائرة، ويتقدمون هم أيضًا في اتجاهه فإذا حياهم الزائر ردُّوا له التحية والترحيب، ثم يوجهون فوهات بنادقهم نحوه معًا، ثم يرفعونها إلى الهواء ويطلقون رصاصها في الجو تحية له، وهذه في الزواج يسموه العزائم الكبيرة، مثل: عزيمة فخذ أو قبيلة لقبيلة أخرى، بما فيها من شعراء ووجهاء وشيوخ.

وقد يبطئون في رفع فوهات البنادق إلى الهواء لإطلاقها ويبقون مسددين فوهاتها نحو الزائر حتى تلمس كتفه، ثم يرفعونها عن كتفه فيطلقونها في الهواء.

وتكون هذه البنادق المسددة نحو الزائر مليئة بالرصاص، وهذا يعتبر من أعظم مظاهر الترحيب والتكريم عند أهل شهران، وما يحمل هذا السلاح إلَّا رجلٌ كما يقولون: له قلبان؛ قلب عند الضراب أو البندق، وقلب عند أوله، أي خروج الطلقة، والمؤمن يرى بعيني قلبه وهذا الدليل.

– عادة التعاون.

وهي تدل على مبدأ التعاون الجماعي بين القبيلة، وتعتبر من العادات المهمة التي تعارف عليها المجتمع الشهراني، فقد اعتادت كل قبيلة أن تجمع لجنة تختص بما يقدم الناس في مواسم الحصاد من غلات زراعية وثمار وحبوب وأغنام وأبقار، وتحفظ في مكان خاص لوقت الحاجة.

وعادة ما تكون أوجه صرفها في إكرام الضيف والغريب وسداد الدين عن الضعيف والمنكوب، وإطعام السائل والفقير، وإعانة كل ذي حاجة .

وكذلك في حالة وجود كوارث أو مصائب الدنيا –لا سمح الله– ومنها القتل غير العمد، ويقول شيخ قبيلة بني جابرة الشيخ أحمد أبو حماد في ذلك: إن التكافل الاجتماعي موروث جيلًا بعد جيل بحيث يعطف الميسر على المعسر، وكذلك في حالة وجود كوارث أو مصائب الدنيا –لا سمح الله– ومنها القتل غير العمد والمشاجرات والخصومات فيما بينهم، (تدفع الأموال) بالتساوي؛ فإذا طلب مال يدفع صاحب القضية مثل أي شخص من أفراد القبيلة[1]، ويسمى بالعامية: المأهول، أي المجموع من الجميع وهو المال.

(١) في العادات والتقاليد، مقابلة مع شيخ قبيلة بني جابرة، الشيخ : أحمد بن محمد بن مفرح أبو حماد الشهراني، عام ١٤٢٦/١٢/٥هـ

– عادات الزواج.

تتعدد العادات وتختلف طريقة الزواج ومراسيمها، في الجزيرة العربية والعالم كله، كما تختلف بين بطون وفخوذ قبيلة شهران، وفي بلاد شهران يكون الكفء هو الأهم، –بغض النظر عن صاحب المال أو الجاه– و تتحدد الكفاءة من خلال نفس الطبقة الاجتماعية من حيث الأصل والنسب، والاستقامة والقدرة على ستر أولاده وزوجته وكسب العيش لهم، وتكافؤ النسب الحرُ مع الحرُ، وما دون ذلك كلاً يعرف صاحبه بالضبط، ولكن العادات فيهم جميعًا واحدة، وحضور الجمع واحد، ولكن كلًا له طريق معروف.

وأكثر الزواج يتم دون تعارف مسبق بين الزوجين، إذ تكتفي الفتاة بسمعة الرجل وصيته إذا كان طيبًا ومن عائلة كريمة، وفي المقابل يكتفي الرجل بالسؤال عن الفتاة بواسطة قريباته من النساء[1]، وكان الزواج في السابق يتم الترتيب له عن طريق النساء، واسطات بالكلام والخطبة الخفية، ثم يبدؤون بالرجال، وحاليًا الرجال يتقدمون فإذا تمت الموافقة بين الطرفان والترحيب الكامل نظر العريس والعروس النظرة الشرعية، ويتم الزواج أو يتم خلاف ذلك.

إضافة إلى أنه لا يستطيع أي شخص أن يتزوج من قبيلة يوجد بينها وبين قبيلته عداء مهما كانت دوافعه، حتى لو كان ذلك منذ زمن بعيد، ما لم يُعقد صلح يرضى به الطرفان، مما يجعلنا نؤكد بأنه يراعى عند الزواج في بلاد شهران أن يكون الراغب في الزواج من داخل القبيلة، أو من قبيلة حليفة معروفة.

هذا وقد اعتاد الشهرانيون أن يزوجوا أبناءهم وبناتهم في سن مبكرة، حوالي الخامسة عشرة؛ لضمان الإكثار من الذرية، وصونًا من الوقوع في الفاحشة، وعندهم في هذا أمثال تقول: زوج بنتك بيت الشباعة، وزوج ابنك بيت الشجاعة .

ومن عادات الزواج أن يبدأ الأهل في البحث عن زوجة لابنهم قد تكون ذات صلة وقربى، أو من قبيلة حليفة، وإذا تم ذلك يحدد لقاء والد العروس لخطبتها رسميًا، فإذا تم ذلك يحدد المهر ويوم العقد أو الملكه . وغيرها من الأمور والمراسيم التي يسير عليها طالب الزواج سنتتبعها خطوة خطوة عبر المفردات التالية:

---

(١) العواجي، محمد بن جرمان. بيشة، ص١٧٥.

أولًا: الخطبة:

بعد أخذ الموافقة المبدئية من والد الفتاة على خطبة ابنته لخاطبها الذي يعرفها في الغالب عن طريق رؤيتها الرؤية الشرعية بحضور أهلها، أو عن طريق وصف أهله أو أقاربه أو بعض معارف الأسرة إذا كانت من قرية أخرى، يُحدد يوم معين لإعلان الخطبة، فيذهب العريس وعائلته برئاسة الشيخ أو النائب، ويكونون في حدود خمسة عشر رجلًا بعد صلاة العصر، ويستقبلهم أبو الفتاة المخطوبة وأقاربه وجماعته، ولا يفتح موضوع الخطبة في ذلك الوقت؛ إذ يقوم المضيفون بعد شرب القهوة والشاي مع بعض التمر باقتسام الضيوف كل قسم في حدود أربعة إلى خمسة أشخاص يتوزعون على بيوت القرية المضيفة فيتناولون "اللطف" (أو المعيشة) وهو شيء من البلح أو التمر مع البر والسمن، وبعض الخبز، ثم يعودون جميعًا للعشاء في بيت والد الفتاة المخطوبة وغالبًا ما يتكون العشاء من ذبيحة أو أكثر ومعها توابلها وذلك سابقًا.

والعشاء يكون في بيت والد الفتاة المخطوبة، وبعد العشاء يتحدث كبير وفد العريس، وتكون الموافقة العلنية، وهذه سلوم شهران ولا تزال في بعض الأمكنة حتى تاريخنا الحاضر.

وقد ذكر لنا شيخ قبيلة بني جابرة: بأن الضيوف يحضرون مع العريس إلى دار أهل الزوج ويتم بين المشايخ الكلام في مهر الزوجة، وكل ذلك يحدث بعد وجبة العشاء المقدمة من أهل العروس[1].

وذكر لنا عبد الكريم آل طالع[2] مراسيم الخطبة في جنوب بلاد شهران، وهي بأن يقوم الزوج –وبرفقته أقاربه وبعض جماعته– بزيارة أهل الزوجة ومعهم المأذون، ويكون ذلك في العادة بعد العصر، فيستقبلهم المضيفون من والد الزوجة وجماعته ويكون الترحيب عادة في تلك الديار، بأن يصطف المضيفون على خط مستقيم، بينما يقوم الضيوف بالعرضة حتى يقتربون منهم بحوالي عشرين مترًا ثم يتراصون كصف آخر مقابل، ثم يتقدم المضيف مع كبير الجماعة ويرفعا صوتهما بالترحيب، فيكرره الجماعة خلفيهما؛ ليرد الضيوف على هذا الترحيب بالشكر والتحية قائلين (أرحبوا يا رجال يا الله حيهم)، أو (أرحبوا أرحبوا).

---

(١) في العادات والتقاليد، مقابلة مع شيخ قبيلة بن جابرة، الشيخ احمد محمد مفرح أبو حماد الشهراني، في تاريخ ١٤٢٦/١٢/٥هـ

(٢) آل طالع، عبد الكريم عائض سيعد. قبيلة شهران بين الماضي والحاضر،الرياض،١٩٨٤م، ص ١٧٦.

ثم يختلط الجمع ليتم السلام والعناق، ويدخل الضيوف إلى منزل المضيف وتقدم القهوة والشاي، ويدار عليهم الطِّيب، وتحضر لهم وجبة ويكثر عليها السمن حتى يطفو من أطراف القدح في مثل هذه المناسبة، وتسمى عند البعض (معيشة) وبعضهم يسميها (وصل)[١] أو لطف، ثم يعودون لرشف القهوة، ومن ثم يخرجون عند الجماعة الذين يقدمون لهم الطِّيب والفاكهة، وبعد العشاء ينصرف الجماعة ويبقى الزوج ووالده أو قريبه واثنين من الشهود والمأذون، ثم يتم الاتفاق حول المهر والحلية، – ويختلف المهر حسب الظروف[٢]–، وكذلك المنزل الخاص بالزوجة .

وقد ذكر فؤاد حمزة أنَّ المهور في قبيلة شهران كانت رخيصة جدًا، حيث المهر بين أبناء العم لا يتجاوز الخمسة إلى العشرة ريالات. وأما بين أبناء القبيلة الواحدة أو بينها وبين القبائل المتصلة بها بصلة النسب فقد يبلغ المهر من عشرين إلى ثلاثين ريالاً[٣].

كما قدم لنا العواجي وصفًا أدق عن المهر وطريقة الزفاف في بيشة (إحدى منازل شهران) بأن الأمر في غاية البساطة واليسر، حيث يعطي الزوج زوجته بعض (الحجول) وهي عبارة عن بناجر فضية، وظفار توضع في اليد، أو قطعة زل من الشيراز ويعمل وليمة عشاء، تتكون من ذبيحة أو ذبيحتين حسب مقدرته المالية[٤].

ولقد قامت بعض بطون من شهران بتحديد مهور النساء، حيث كان المتعارف عليه في قبيلة بني جابرة ألَّا يتجاوز المهر مائة ريال فقط، بخلاف الوقت الحالي[٥]، كما أن المتعارف عليه في قبيلة آل سرحان باتفاق عموم القبيلة خمسة آلاف ريال، والذهب – حسب العرف – على الزوج[٦] .

---

(١) وصل أو معيشة أو لطف : تكون بين الغداء والعشاء وتكون عادةً بعد صلاة العصر مباشرة .

(٢) آل طالع،المصدر السابق، ص١٧٦.

(٣) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص٨١.

(٤) العواجي، مصدر سابق، ص١٧٥.

(٥) العادات والتقاليد، مقابلة مع الشيخ احمد محمد مفرح الشهراني، شيخ قبيلة بني جابرة، في تاريخ ١٤٢٦/١٢/٥هـ.

(٦) العادات والتقاليد، مقابلة مع الشيخ سعيد بن عبد الله بن سعد بن ثابت، شيخ قبيلة آل سرحان، عام ١٤٢٦هـ.

أما العرف المتبع في تحديد مهور النساء في قبيلة ناهس فهو مبلغ ريالين فرانصي وما في حدودهما وأهل العروس يقومون بشراء بيت شعر لتسكن فيه وزوجها مع بعض الأثاث البسيط مع قربة ماء ورحاء ومبسط وحوض[1]، والحوض للمواشي وجميع ما ذكرنا سابقًا.

والعرف المتبع في تحديد مهر النساء لدى قبيلة كود الشهرانية كان بسيطًا جدًا بحيث لا يتجاوز ريالين فرانصي وقطعة زولية أو بساط أو سجادة[2]، والعرف عند أهل القرعاء في تحديد المهر بمائة إلى مائتين ريال، والعرف المتبع لدى قبيلة بني مالك الشهرانية بعشرة ريالات فقط في الوقت القريب.

وهكذا نجد أن مهور النساء في الماضي كانت لا تتجاوز ريالات معدودة، وكان يسود بينهم مثل "زوجتك بنتي (أو قريبتي) على ريال وشيمة رجال" فالعبرة في بلاد شهران كان بالرجل الكفء المناسب؛ مما يجعل العلاقة قوية وموفقة بعيدة عن الطمع بالمال، وفي الوقت الحاضر حدد المهر للبكر في كافة بلاد شهران بأربعين ألف ريال سعودي، والثّيب بخمسة وعشرين ألف ريال سعودي.

ثانيًا: المُلكة

وبعد الخطبة يقوم الشاب وولي أمر العروس بتحديد موعد عقد النكاح ويسمونها المُلكة بضم الميم وسكون اللام، ويتم العقد بحضور والد العروس وشاهدان والمأذون في بيت والد العروس، ويصاحبها الفرح والاحتفالات وإطلاق الرصاص.

ثالثًا: الزفاف .

فإذا كان منزل الزوجة بعيدًا عن قرية الزوج، فإنهم يذهبون من العصر. ولم يكن هناك أيامًا محددة لهذا الغرض، ويكون السير على الأقدام أو على الخيول والحمير والبغال، حتى يصلون إلى ديار الزوجة فيرحب أهلها بهم، ثم يقومون بتقديم العشاء لهم .

وفي تلك الليلة تدق الطبول والتنك . ويرقصون رقصة (العرضة)، وهي عرضة شهران المعروفة، العرضة الحربية المعروفة ، ثم ينامون هناك، وفي الصباح يتناولون الفطور عند الجماعة، ثم الغداء عند المضيف، وبعد الغداء يرحل القوم ومعهم العروس والتي تركب بعيرًا

(١) العادات والتقاليد، مقابلة مع الشيخ علي بن عبد الله أبو كبيدة الناهسي الشهراني، شيخ قبيلة ناهس، عام ١٤٢٦هـ.

(٢) العادات والتقاليد، مقابلة مع شيخ قبيلة كود محمد بن سعيد بن محمد بن مسفر بن عبد الرحمن بن حجام الصويح، عام ١٤٢٦هـ.

في العادة من أهدأ الإبل، ثم تقام العرضة حتى يتم الرحيل وهناك عند بيت الزوج تقام حفلة الزواج الصباحية والعشاء مع عدة ذبائح، وتقام الأفراح ثلاث ليال متتابعة، ولا تقام مأدبة في الليلتين الأخيرتين مثل الليلة الأولى.

والضعان: مرحلة انتقال الزوج بزوجته من بيت أبيها إلى بيت الزوج، ويرافقها في الانتقال بعض النساء من أقاربها، ويتناولون طعام العشاء في بيت الزوج، ويقوم الزوج وأسرته بعمل مناسبة أخرى في منزلهم (وليمة عشاء) للضيوف والزوجة.

وبعد ذلك يأتي المقهوي وذلك بعد صلاة الظهر إلى العصر وتلي مرحلة الضعان، وتكون خاصة بزفة النساء، إذ تقوم مجموعة من الطبالات بدق الدف والطبل، وبقية النساء يشاركن باللعب والتصفيق، وبعد صلاة العصر يعود النساء من أقارب الزوجة إلى بيوتهن، ويهدأ الأمر بالنسبة للعريس.

وفي يوم الزواج يقوم جميع أفراد القبيلة من شباب وشيوخ بالتجمع في موقع محدد متعارف عليه في أثناء الزواج يقومون بجمع مبلغ من المال للمتزوج وتوضع في كشوفات، ويقومون بعرضها بصوت يتضمن أدبيات فيها مدح للمتزوج وأهل الزوج وأفراد قريته وذكر أمجاد القبيلة، وحين وصول أفراد القبيلة إلى دار المتزوج يتقدمهم شيخ القبيلة مرتجلًا بعلم الوصول وتقديم المبلغ إلى الزوج[1].

– عادة السموة(السماوة)

تختلف أسماؤها وتتعدد من مكان إلى آخر عند قبائل شهران العريضة، ويتحدون في معانيها ومراسمها، فتارة نجدها باسم السموة أو السماية[2]، وتارة يطلق عليها السماوة[3]، وآخر يطلق عليها السماوية[4]، وغيرها من الأسماء، ومهما اختلفت أسماؤها عند من كتب عنها، فقد اتفقت عاداتها ومراسيمها ومضامينها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾(مريم: ٧) ، وقد سمي النجاشي ملك الحبشة ابنه على اسم عبد الله بن جعفر ووالته أسماء بنت عميس القحافية الشهرانية الخثعمية.

---

(١) العادات والتقاليد – مقابلة مع الشيخ /أحمد محمد مفرح أبو حماد الشهراني شيخ قبيلة بني جابره بشعف شهران ١٤٢٦/١٢/٥هـ

(٢) جريس، عسير دراسة تاريخية،ص٩٩.؛ والقحطاني، عبد الله سالم (الدكتور). معجم العادات والتقاليد واللهجات، ص٢٢٥.

(٣) العواجي، مصدر سابق، ص١٧٣.

(٤) الغامدي، صالح بن عون هاشم.، بيشة دراسة تاريخية شاملة ، ط:١٤١٨هـ، ص٥٠.

والعادات في السموة كانت تمارس بشكل كبير بين سكان المجتمع الشهراني، وملخصها أنه عندما يولد لأحد مولود يسميه على اسم بعض أسماء الأقرباء، أو الجيران، أو الأصدقاء، ومن الرجال المحسوبين الأعلام، أو المحبوبين إليه، أو لإنهاء نزاع قائم وإثبات حسن النية، ولهم في ذلك طريقتان:

١- إن كان المسمى به قريبًا أو من أفراد القرية، أو العشيرة التي ينتمي إليها المولود الجديد، يأتي المسمى به هو وبعض أقاربه لزيارة المولود وأهله، فيقدمون لهم بعض الهدايا كالملابس، والنقود، والذبائح وغيرها، ويسلم المسمى به على سميه المولود، ويدعون له بطول العمر وحسن العمل، والتوفيق والعافية والهداية، وحفظ القرآن والسنة، وأن يكون من المجاهدين في سبيل الله ومن المدافعين عن دينه وبلاده.

٢- إن كان المسمى به من قبيلة أخرى غير قبيلة المولود وأهله، فإن المسمى به يجمع رجالًا من عشائره وقبائله التي ينتمي إليها، ويحددون يومًا لزيارة المولود وعشيرته، ويذهبون في الموعد المحدد، حاملين معهم الكثير من الهدايا والأكسية المتنوعة، وبعض الأموال معلنين أمام عشيرة المولود ما قدموا به من هدايا وأموال لسميهم الجديد، ثم تقام بهذه المناسبة الاحتفالات والضيافة المناسبة، وقد تستمر لعدة أيام[١]، ويضيف العواجي أنه بعد الانتهاء من الاحتفالات يتقدم الشخص المسمى عليه؛ بإعطاء السماوة لوالد المسمى ويسلم على سميه الصغير، وتختلف السماوة من شخص لآخر، وغالبًا ما تكون بندقية أو فرد، أو رشاش، أو سيارة، أو مبلغ من المال[٢]، وما زالت هذه العادة حتى وقتنا الحاضر[٣]، ويذكر الدكتور غيثان جريس، أن أشهر الأسماء عند شهران هي (مستور، جابر، عبيد، عبود، بطي، سفر، عوضه، مبارك) [٤]، وكذلك محمد، علي، سعد، سعيد، عبد الوهاب، عبد العزيز، زيد، مالك، وخير الأسماء ما

(١) جريس، مصدر سابق، ص٩٩- ١٠٠.

(٢) العواجي، بيشة، ص١٧٣.

(٣) الغامدي، مصدر سابق ، ص٨٣٠.

(٤) جريس، مصدر سابق، ص١٠٠.

حُمد وعُبد، وإن كانت هذه الأسماء قد اختلفت وبدأت تتلاشى في وقتنا الحاضر.

وهذه العادة التي يمارسها أبناء شهران عادة طيبة مغزاها بعيد؛ فهو تشجيع على الإنجاب، والتمثل بالأسماء الطيبة، والتفاؤل بها، ومع مرور الوقت درج أبناء هذه القبائل على التسمي بأسماء الصحابة والأعلام تبركًا وتيمنًا وحرصًا على انتقاء الأسماء الكريمة والطيبة، التي تنم عن وعي وإدراك يتمتع به أبناء هذه القبيلة العريقة .

– عادة المأتم.

عند وفاة أي رجل من رجال شهران سواء كان ذكرًا أم أنثى، يأتي من يقوم بتغسيله، وأحيانًا يكون من أقاربه أو من بعض أفراد القرية المشهود لهم بالخبرة في غسل الموتى، وحفاظًا على حق الأموات يقوم بغسل الرجالِ الرجالُ، والنساءُ يغسِّلن النساء.

ويجتمع أهل القرية في بيت الميت، في حين يقوم البعض بحفر القبر في المقبرة الخاصة باللحمة أو القرية، ويتنافس أهل القرية في حمل نعش الميت حرصًا منهم على نيل الأجر والمثوبة، وبعد أداء الصلاة على الميت ومواراته التراب يعودون إلى بيت الميت بما فيهم الشيخ، ويبدأ أهل القرية في إعداد الطعام لإحضاره إلى أسرة المتوفى، ويستقبل أهل القرية أهل القرى المجاورة من المعزين الذين هم بدورهم يُحْضِرون معهم بعض الولائم.

وفي هذه العادة نرى تطبيقهم لسنة المصطفى محمد (ﷺ) عند استشهاد جعفر في الحديث الذي روته أسماء بنت عميس القحافية الشهرانية قالت: لما أصيب جعفر... وخرج رسول الله (ﷺ) إلى أهله فقال: " لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعامًا فإنهم قد شُغلوا بأمر صاحبهم"[1].

ومن هذا المنطلق نجد أنَّ الشهرانيين يقومون بصنع الطعام لأهل الميت إقتداءً وامتثالاً لأوامر نبيهم (ﷺ)، ويكونوا معهم حتى انقضاء مدة العزاء ثلاثة أيام، والعزاء لدى الرجال والنساء طيلة اليوم وحتى الساعة العاشرة مساءً مواصل، ومنهم من يبدأ من العصر حتى غروب الشمس، نظرًا لانشغال الناس في أعمالهم ولرفع الكلفة عنهم.

(١) ابن هشام، السيرة النبوية،ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ١٩٩٥م، ج٤، ص٢٨.

– عادة الجيرة.

مجموعة من القواعد مفادها عدم التعدي أو الإضرار بالآخرين، والحرية داخل حدود القبيلة، ولكنها تختص بفئة ذات مكانة اجتماعية معروفة كالأعيان أو النواب .والجيرة مفادها عدم التعدي أو أخذ بالثأر من أهل المعتدي عليهم سواء ضرب أو قتل ، وقد حصلت أول جيرة في الدولة الأموية ،حيث أورد لنا ابن قدامة المقدسي أنَّ فرعًا من قبيلة شهران الخثعمية نزلت فلسطين، واستقرت هناك منذ بدء عمليات الفتوحات لبلاد الشام، وذكر أنَّ محمد بن جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، وأمه هي أسماء بنت عميس القحافية الشهرانية الخثعمية، كان مع أخيه من أمه محمد بن أبي بكر الصديق (ﷺ)؛ حيث بعثه الخليفة علي بن أبي طالب (ﷺ) أثناء خلافته واليًا على مصر. فلما قُتل محمد بن أبي بكر هرب محمد بن جعفر بن أبي طالب (ﷺ)، فلحق بفلسطين فاستجار بأخواله من شهران وخثعم، فأجاروه ومنعوه. فقال الخليفة معاوية بن أبي سفيان يومًا للذي أجاره وهو عنده: ادفع إلينا هذا الرجل عندك . قال: دعه يا أمير المؤمنين . قال معاوية: لا والله لا أدعه. فقال الشهراني الخثعمي: والله لا أدفعه إليك حتى تتحدث أي الفتحين أعظم! قال معاوية: إنك ما علمت لأوْرَه أي: أحمق. قال له: أي، والله إني لأوره حين أقاتل عن ابن عمك – يعني عن محمد بن جعفر – حتى أحقن دمه، وأقدم ابن عمي بين يديك حتى يُقْتَلَ في سلطانك. فأعرض عنه الخليفة معاوية، فلم يزل محمد بن جعفر ابن أبي طالب (ﷺ) في حماية أخواله من شهران الخثعمية حتى مات[1].

وقد ذكر لنا شيخ قبيلة ناهس الشيخ علي بن عبد الله أبو كبيده الناهسي الشهراني – في مقابلة معه– أن سلم الجيرة، ضربة العصا والجنبية والسلاح الناري من غير وفاة ستة أشهر .

أما الوفاة بأي نوع من الأنواع فهي سنة وشهران، مثل بقية سلوم شهران وهذا حفظ للأمن والأرواح، وقد أقرها خالد الفيصل وتركي الماضي[2]، وأما الجاني فيُسلم إلى الحكومة ويحافظ على أهله بعدم التعدي.

---

(١) المقدسي، موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد، التبيين في أنساب القرشيين ،تحقيق/محمد نايف الدليمي ،ط ١، بغداد،١٩٨٢م ، ص١٢٠.

(٢) مقابلة مع الشيخ: علي بن عبد الله أبو كبيرة الناهسي الشهراني، شيخ قبيلة ناهس، ١٤٢٩هـ.

كما ذكر لنا الشيخ سعد بن عبد الله بن سعد بن ثابت شيخ قبيلة آل سرحان بشعف شهران، سلمَ القبيلة في الجيرة، فقال: لها مع قبيلة آل يزيد تحالف، وينص التحالف على أنه في حالة الاعتداء على أراضيهما في تهامة، أن رجال القبيلة المعتدى عليها آل يزيد في المقدمة وأن رجال آل سرحان يأتون في المؤخرة، وإذا حصل قتيل في رجال قبيلة آل سرحان فإن القتيل يعتبر لقبيلة آل يزيد يقتصون أو يعينون، وكذلك الحال في حالة الاعتداء على أراضي آل سرحان من حليلا، يكون رجال آل سرحان في المقدمة ورجال آل يزيد في المؤخرة، وإذا حصل قتيل لقبيلة آل سرحان يطالبون به أو يتركونه[1]، وسلم شهران واحد في الجروح والرقاب، ولكن بحكم الجوار .

كما يضيف لنا شيخ بني واهب، هيف بن محمد الفويه سلم قبيلة بني واهب، يكون في الوجه سنة وشهران، فيكون جار الرجل بمثابة أقرب قريب له، يضره ما يضره ويفرحه ما يفرحه، وفي الجروح ستة أشهر[2].

أما قبيلة الفزع فقد ذكر أحد مشايخها وهو الشيخ حمدان بن عبد الله بن مجري حيث قال في مقابلة معه : الجيرة للرقبة سنة وعشرة أيام وهو حينما يكون الرجل مبلي في ماله أو عرضه فله في كل فخذ سنة وعشرة أيام، ولا يجلي حتى يقبل، وذكر نوعاً من أنواع الجيرة، وهي جيرة اللودة، وهي جيرة الأسود لكي يرحل في هذه المدة وله عشرة أيام يجلي فيها[3]، والأسود: هو الذي قتل قريبه دون الخامس في النسب .

وهكذا نجد أن جميع قبائل شهران في سلم الجيرة تتفق اتفاقًا كليًا في سلم واحد في الجيرة، فالرقبة سنة وشهران، والجروح ستة أشهر، وهم قريبين من بعض جدًا في السلوم والعادات.

وهم بذلك يؤكدون على عادة الجارة (الجيرة)، التي كانت موجودة سابقًا عند العرب والتي أشار إليها القرآن الكريم قال

(١) في سلم في الجيرة، مقابلة مع الشيخ: سعد بن عبد الله بن سعد بن ثابت، شيخ قبيلة آل سرحان شعف شهران، في تاريخ ١٤٢٦/١١/٥هـ.

(٢) في سلم في الجيرة، مقابلة مع الشيخ: وهب بن محمد، شيخ قبيلة بني واهب من شهران، في تاريخ ١٤٢٦/١١/٥هـ.

(٣) في سلم في الجيرة، مقابلة مع الشيخ حمدان بن عبد الله بن مجري، أحد مشايخ قبيلة الفزع من شهران، في تاريخ ١٤٢٦/١١/٥هـ.

تعالى: "وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ" (التوبة: ٦.)

كما يذكرنا بقصة العاص بن الربيع عندما أجارته زوجته زينب بنت رسول الله (ﷺ) وهو لم يسلم بعد، فقال رسول الله (ﷺ): "لقد أجرنا من أجرت يا زينب" وكان قد فرق بينهما الإسلام، فلما دخل رسول الله(ﷺ) على ابنته، قال لها (ﷺ): "أكرمي مثواه، ولا يَخْلُصَنَّ إليك، فإنك لا تحلِّين له[1].

كما أن الإسلام قد أكد على الإجارة، يقوم بها أحد المسلمين بغض النظر عمن يكون، فهو ملزِمًا للجميع بالحفاظ على حق المُجير والمُجار من قبل أفراد المجتمع الإسلامي.

وإن كانت هذه العادة الحميدة قد اختفت وتضاءلت، إلا إنَّ قبيلة شهران ببطونها، تكفلت بالحفاظ عليها حتى وإن أثقلت كاهلها، فلا يحمل العبء الثقيل إلَّا الرجال الأفذاذ، ذوي المروءة والشجاعة والإقدام.

– عادة الخوَّة.

وتعني وفود مجموعة من قبيلة على قبيلة أخرى، إذ يختارون أحد أفراد القبيلة والذي له وزن عائلي، وقيمة اجتماعية، ويطلبون خوَّة ، ويسمونه "قريب من الخير بعيد من الشر" ويصبحون كإخوته، ولهم الحماية الكاملة في كل شيء من أهل ومال وحلال وماشية، وليس أدل على ذلك من أنَّ كثيرًا من القبائل الأخرى وفدت إلى شهران وصارت منها، وعرفت باسم "الأحلاف".

– عادة الخاوة.

وهو لجوء شخص إلى قبيلة أخرى بعد أن يدفع لأحد أفرادها أي شيء يتفق عليه كبُن أو مال أو حتى عصا ليحميه من أي اعتداء يخرج من قبيلته[2].

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٦٥٨.

(٢) الغامدي، صالح بن عون هاشم. بيشة دراسة تاريخية شاملة، د/ط ١٤١٨هـ، ص٧٥.

والخاوة: دخول البلاد من طرفها حتى الخروج من الطرف الآخر لأن الناس كانوا في خوف، ولكن والحمد لله الآن نذهب من شرق المملكة إلى غربها في أمن وأمان وطاعة رحمان .

– عادة الدخيل.

ومفادها أنه إذا ارتكب أي شخص مخالفة ما؛ ودخل بيتًا وشرب فيه القهوة أو الماء؛ فإنه يصبح في حماية صاحب البيت الذي دخله، وينجو من العقاب ما دام أنه دخيل على من دخل عليه، حتى ولو كان صاحب البيت هو المطالب بالدخيل، وجرى المثل "دخل الدخيل ونجا" وتخص هذه العادة شهران العريضة بصفة عامة وأساسية[1]،وفي قبائل أخرى في المنطقة وغيرها .

– عادة إعطاء الوجه أو الجوار.

وهذه العادة تدل على أنَّ مجتمع قبائل شهران، صاحب مروءة ودماثة خلق واحترام للكلمة التي يعطيها للإنسان الآخر، فإذا حدث أن لجأ أحد الأشخاص إلى شخص آخر في قضية ما؛ فإن الآخر يعطي للأول وجهه تعبيرًا عن كفالته وضمان الأمن والأمان له أينما حل أو رحل، وهي عادة يحترمها الآخرون، فلا يُعتدي على من يُعطي هذه العادة حتى يخرج من حماه، وبعد ذلك يكون المعطي للوجه في حِلٍّ من حماية من حماه، ولو حدث أنَّ أحدًا خرق ذلك العرف وحاول أخذ ثأره من غريمه وهو في كفالة شخص أو عشيرة معينة؛ فربما يعرض نفسه للقتل ممن أعطاه الحماية والجوار[2]،ويؤكد ذلك ما ذكره محمد العواجي بأنه "غالبًا" أن جميع الأفراد إذا عرفوا أن الشخص الجاني في وجه أحد، لا يعتدون عليه، ويتركونه حتى يخرج من وجهه، ثم يأخذون ثأرهم منه[3]، ولو بعد سنوات طويلة، أو يتم صلح بينهما.

وخلاصة القول أنه عندما يقول شخص لآخر أعطيتك وجهي، أو أنت في وجه الله ثم وجهي، يعني أنني ضمنتك وأمنتك حتى تبلغ مأمنك.

---

(١) الغامدي. مصدر سابق، ص٧٦.

(٢) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص٩٨.

(٣) العواجي، مصدر سابق، ص١٧٣.

وعادة إعطاء الوجه من العادات القديمة عند العرب، واستمرت في العصور الإسلامية المختلفة حتى وقتنا الحاضر، وكتب السيرة تذكر قصة الرسول (ﷺ) عند عودته من رحلة الطائف وما لقيه هناك من أذى ولم يستطع دخول مكة إلا بعد طلبه الجوار من بعض رجال قريش، فلم يجيروه، "فبعث إلى المُطْعِم بن عدي فأجابه إلى ذلك... [1]، وهذا ما يؤكد قِدم هذه العادة عند العرب، واستمرارها عند مجتمع شهران كعادة طيبة قل أن نجدها في أي مجتمع آخر.

– عادة طلب العفو عن الآخرين.

وهذا يعني أن الحاكم أو القاضي إذا أنزل حُكمًا – ليس فيه حد شرعي – على أحد الناس، وأراد المشايخ أو أصحاب الحق طلب العفو عن المحكوم عليه، ينزلون عند صاحب الحق ويلقون عمائمَهم وعُقلَهم بين يديه طالبين العفو عن المحكوم عليه، ولا يمكن أن تردّ العمائم والعُقُل على الرءوس حتى يستجيب صاحب الحق ويعلن العفو، وهذه من الشهامة والمروءة التي يعرف بها الشهرانيون والعسيريون والقحطانيون والقبائل العربية بشكل عام[2]، وبعضهم يوافق على حجم الطلب وبعضهم يرفض ذلك إذا كان فيه رقبة .

وقد حصل لسليمان باشا – متصرف عسير – شيء من هذا عندما أصدرت محكمته حكمًا على الشيخ بن حموض شيخ شعف شهران والقاضي عبد الله بن مرعي – لتحريضهما على الثورة–، فقد جاءه الشريف حسين بعد فك حصار أبها ومعه مجموعة من شيوخ قبائل شهران وعسير، ورفع كل منهم عقاله عن رأسه ووضعه بين يدي سليمان باشا طالبين العفو عن الشيخين المذكورين.

– عادة نكاس الحربة.

ويطلق على الشخص الكفيل من أقارب المعتدى عليه، وذلك إذا تم الصلح بين الطرفين، فلابد من كفيل على قريب المعتدى عليه ومن أقاربه يكفله بعدم الاعتداء أو الانتقام، ويقول الكفيل المقولة المشهورة "يرعى الشعيب، ويرد القليب، ومن يرشه قطرة ماء أرشه بالدم"، على شرط أن يوافقوا عليه وأن يكون بعد الخامس نسيًا.

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية.

(٢) هريدي،عسير تحت الحكم العثماني، ص١٤٠.

– العادات في شرب القهوة والأكل

عادات شهران إذا دخل عليك ضيف ويقول: عندك قهوة وتمر أو شرب ماء أو حليب إبل غبوق وخرج من عندك ولم يعقبه لا أكل ولا شرب ثم سُلب أو اعتدي عليه في نفس اليوم فكان عليك الحق أن تحمي ضيفك ما دام أنك ضفته بما ذكرنا في نفس اليوم فقط، أما الأكل فله يومان ما لم يعقبه أكل آخر من شخص آخر، هذه العادات التي عاش عليها الرجال سابقًا وأما الآن فلا تزال مما ذكرنا لدى شهران العريضة، وغيرها من قبائل المنطقة وغيرهم من قبائل الجزيرة العربية.

– العادة في قطع الأشجار.

وهي عادة موروثة جيلا بعد جيل في المجتمع الشهراني؛ فيمنع قطع الشجر الأخضر بجميع أنواعه المتعارف عليه إلا في حالة الحاجة، وبحسب تقدير النائب لهذه الحاجة . فمثلًا عند إقامة منزل لفرد من أفراد القبيلة يؤخذ شخص من كل قرية يقدرون حاجة الشخص – الذي طلب المساعدة– من الأشجار.

وقد لخص لنا الدكتور غيثان جريس في معرض حديثه عن أهل السراة — ومنهم شهران — ما يؤكد على أصالة هذه العادات ما مفاده: "وبالنسبة للعادات والتقاليد عند أهل السراة كالكرم والشجاعة، والتكافل، والتآزر، سواءً في المواسم أو الأعياد أو غيرها من المناسبات، فالواقع أن هذا المجتمع كان ينبوعًا وقدوة لغيره من المجتمعات في التطبيق"(١).

كما أشار –فليبي– إلى بعض العادات والتقاليد التي شاهدها في المنطقة ... مثل زواج الشباب في سن مبكرة، حتى إنه رأى بعض الشباب في خميس شهران يتزوجون وأعمارهم تتراوح ما بين (١٥– ١٨) سنة، كما أن قيمة المهور تختلف من البكر إلى الثيب، فالمرأة التي سبق لها الزواج من قبل يكون مهرها يتراوح من (١٠–٢٠) في حين أن الأبكار تكون مهورهن أغلى.

ويذكر أنه شاهد بعض الاحتفالات الخاصة بختم القرآن، حيث كان يحضر الشباب الخاتمون لكتاب الله وعليهم ملابس جميلة، ويكون من حولهم أقاربهم وأهلوهم، كما أنَّ

(١) جريس، دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة(ق: ١– ١٠هـ)ط :١، ١٤٢٤هـ، ص١٤٧.

بعض الأعيان والوجهاء في المدينة أو القرية يحضرون مناسبة الاحتفال بالختم، وذلك تعظيمًا للقرآن واحترامًا لأولئك الخُتَّام وأهليهم [١].

٣- الأطعمة والأشربة والملبوسات

هناك العديد من الأطعمة والأشربة في بلاد شهران، ويختلف من بطن إلى آخر في قبيلة شهران العريضة، فلم تكن أغلب أطعمتهم وأشربتهم إلا مما تنتج حقولهم الزراعية، أو ما يستخلصون من حيواناتهم التي يمتلكون، أو ما يتم صيده من الطبيعة التي يعيشون فيها، أو من البحر الذي يجلب إليهم، أو العيون التي يجاورون، كما أننا نجد هذه الأطعمة والأشربة تختلف من منطقة لأخرى، بحكم المهنة والمكان، فالعاملون في مهنة الرعي أغلب أطعمتهم وأشربتهم مما يمتلكون من حيوانات، وأصحاب المزارع والبساتين يكون جُلَّ قوتهم مما تنتج حقولهم وبساتينهم، والحرفيون والتجار في القرى الكبيرة تكون أغذيتهم مما يتم شراؤه من الأسواق التي حولهم، ويشير الدكتور غيثان جريس إلى تشابه الأطعمة والأشربة عند هؤلاء كلهم، أو عند بعضهم من حيث النوعية والمصطلحات التي يسمى بها كل طعام أو شراب، وفي طريقة الإعداد والصنع[٢].

ومما لا شك فيه؛ أنَّ طبيعة الأرض وما تتمتع به من طيبات وما تخرجه من ثمر فرضت عليهم بعض الأغذية الرئيسية كنوع من الاكتفاء الذاتي، وكان الطعام بسيطًا جدًا، وأغلبه كان من الأنواع الجيدة ، والقليل منه ردئ.

وقد ذكر فؤاد حمزة أن البُرَّ والسمن هما الطعامان الرئيسان في شهران، فلا يعلو عليهما طعام، كما ذكر أنَّ طريقة صنع الطعام بدائية [٣].

ومن خلال ما ذكر نتبين أنّهُ يوجد في شهران العريضة العديد من الأكلات والأطعمة والأشربة وسنقتصر هنا على أشهرها .

---

(١) جريس، بحوث في تاريخ عسير، ص١٤٤.

(٢) جريس،عسير دراسة تاريخية، ص٥٨.

(٣) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٢٧-١٢٨.

أولًا: الأكلات الشعبية .

– العصيدة:

تصنع من القمح أو من الذرة أو من الشعير، وتؤكل مع المرق، أو مع السمن والعسل، أو اللبن، وتختلف طريقة أكلها عن غيرها من الأكلات، خاصة إذا أُكلت مع اللبن أو المرق، والبعض يأكلها مع اللبن، إذ تقبض اللقمة ثم تقرص من الوسط حتى تصبح على شكل قدح صغير، لتملأ بالمرق أو اللبن، وتسمى اللقمة هذه (كحفرة)، وهذه الأكلة منتشرة، ولها عدة أسماء كالمعصوبة ، وهذا النوع من الطعام من أفضل الأكلات الشعبية عند الأوائل في القرون الماضية[1]،وقد ورد في (مسند أحمد) أنَّ فَاطِمَةُ أتت النبي ﷺبِبُرْمَةٍ قَدْ صَنَعَتْ لَهُ فِيهَا عَصِيدَةً تَحْمِلُهُ فِي طَبَقٍ لَهَا حَتَّى وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْهِ[2].

– العريكة:

ذكر فؤاد حمزة عند تناوله أخبار شهران أن العريكة هي أهم الأطعمة وأعظمها شأنًا[3]، وطريقة صنعها: أن تعجن وتخبز على النار ثم تجمع باليد تفرك حتى تكون قطعة واحدة ثم توضع في قصعة أو جفنة والحفرة في وسطها تستوعب كمية من السمن السائح[4]، ومن المعتاد أن يأتي المضيف إلى جفنة العريكة، فيقطع منها قطعة يكورها بين أصابعه كلقمة كبيرة ويصنع منها إناء يشبه الملعقة أو بالأحرى أذن الذئب، يغترف بها من السمن ويقدمها للضيف.

وتقدم العريكة دائمًا مع السمن والعسل وكذلك مع التمر إن وُجد وتصنع من خبز البر المفروك، وتقدم على صحن وقد كومت على أحد أطرافه وبجانبها قدح السمن، أو أن توضع العريكة في قدح ويوضع السمن والعسل في فجوة محفورة في وسطها، وهكذا يقدم (المطِّحُوح) وهو أحد أنواع هذه الوجبة وأجودها.

---

(١) جريس،عسير دراسة تاريخية، ص٦١. والعواجي، بيشة، ص١٨٤.

(٢) بن حنبل، مسند ابن حنبل، دار صادر، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط، بيروت، (بلا.ت)، ج٤٦، ص١٧٣.

(٣) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٢٧.

(٤) المصدر نفسه.

- **المصبَّعه:**

عبارة عن قطع صغيرة كروية الشكل تصنع من عجينة البُرِّ، وتقذف قطعة بعد أخرى في قدر ماء مع قليل من الطحين على نار قوية، لمدة كافية لإنضاجها، ثم ترفع وتحرك بعصا من الخشب تسمى "مصواط" وبعد ذلك تفرغ في صحن وتقدم كما تقدم العريكة مع السمن والعسل، وأحيانًا تخلط باللبن، وتعرف هذه الأكلة بهذا الاسم عند بعض سكان قبائل عسير الرئيسية، وبين قبائل شهران وما حولها ولها أسماء مختلفة في أماكن أخرى من قبائل عسير[1].

والمصبعة من أجود أنواع الطعام وغالبًا تقدم للضيوف، وتكثر في بيوت الوجهاء والأعيان ويصفها البعض بأنها "كبش بلا عظام". أي بأنه في حالة رفض الضيف ذبح الكبش له، فإنها تقدم بديلاً عنه، لأنها أسرع.

– اللهيدة:

وتصنع من دقيق القمح، وفي بعض الأحيان من الذرة، ويوضع عليها بعض البهارات كما يخلط عليها السمن ويحرك حتى تختلط به بعد نضجها، وهي بسيطة خفيفة الإعداد، وغالبًا ما تُعد لكبار السن أكثر من غيرهم[2]، وهي ما تعرف بالشربة البلدي .

– قرص الملَّة (المرمود):

ويصنع في المَلَّة التي هي عبارة عن حجر مسطح تشبّ عليه النار حتى يسخن ثم يوضع عليه العجين، ويغطى بالصوخ (الرماد الحار) حتى ينضج، وعادة ما يُعجن ويُعمَلُ في الحال.

– الطباق:

وهي نبتة بشكل دائري تؤكل نَيّئة ومطبوخة.

---

(١) جريس،عسير دراسة تاريخية، ص٥٨.

(٢) المصدر نفسه، ص٦٠.

– الحريشاء:

وهي أقرب في شكلها إلى ورق الفجل تطبخ في الماء وتؤكل، وهي أكلة شعبية في بيشة شهران.

– مرقوق:

قطع من الأقراص الصغيرة المطبوخة مع الطماطم، وبعض اللحم، ويصب عليها قليل من السمن قبل تقديمها للأكل.

– العبيلة:

هي نوع من الشراب المخلوط من المرق واللبن والماء، ويفضلها أهل القرى بعد الولائم، وهي مفيدةٌ جدًّا لكبار السن.

– اللحوم أو الذبائح لإكرام الضيف:

ذكر لنا فؤاد حمزه بقوله: أما اللحم فهي أكلة، سليقًا ناضجًا مقطعًا إربًا إربًا متناسبة بقدر الأقة أو دونها، وهناك المرق في قصعة، وهناك قطع اللحم منشورة على مائدة تبسط على الأرض من جلود الغنم المجففة بالشمس. قصعة المرق تتوسط الدائرة، تحيط بها أرغفة الخبز الساخن، تتخللها قطع اللحم. وأما قطع اللحم الممتازة كالكتف والفتيلة وسواها من أطايب اللحم فإن المضيف يوزعها بنفسه على الضيف بادئًا بالأول قائلاً: "الزم" فيتناولها الضيف قائلاً: "تسلم" إلى أن يدير قطع اللحم على الحاضرين، وإن بقي شيء منها بعد ذلك يوزع على من لم يحضر الدعوة من الأهل قائلًا: هاكم الرأس وهاكم الكوارع وهاكم الأضلاع وهاكم الدهن وهاكم المطط . لكل قسم بحسب مقامه في الهيئة الاجتماعية[1]، وهذه العادة لدى شهران وبقية القبائل الأخرى في المنطقة بطرق مختلفة، والآن –والحمد لله– يُقّدم القعود ويكون كاملاً أو على عدّة صحون، أو الطلي على صحنٍ أو طليان على صحنٍ . أمّا لحم التيسِ فلا تقدمه شهران وقحطان، خاصة حينما يكون لديهم ضيف ذو مكانةٍ، ويستعيبون تقديمَهُ إلا من خاصةِ البيتِ .

(١) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص١٢٨.

وقد ذكر – فليبي- بعض الأطعمة التي أكل منها أثناء زيارته لمنطقة عسير، والتي تناولها في بيوت الأعيان والوجهاء في المنطقة، فيذكر أنواع الأطعمة التي شاهدها عل مائدة الشيخ. عبد الوهاب أبي ملحة في خميس شهران، حيث كانت مكونة من: خبز القمح المستطيل الرقيق، ولحم الضأن، والزبادي، وأطباق من المأكولات اللذيذة الأخرى، وأطباق كبيرة من الأرز في كل منها ملعقة، وأطباق كبيرة من الدهن من ذيل مؤخرة الغنم، وزبادي الدجاج والصلصة، وزبادي من الخضروات، وأطباق من الحلويات المتعددة مثل المهلبية، الكعك المحلي المقلي بالسمن،كما ذكر بعض أنواع الأطعمة التي أكلها على إحدى موائد أمير منطقة عسير. تركي السديري وأخيه خالد فقال: ..... كانت من الأرز الجيدة ولحم الضأن الشهير، بالإضافة إلى المقبلات(الإدام) الذي وضع في زبادي وأطباق عديدة، كل منها عل انفراد، والخبز المحلي المصنوع من القمح عل شكل مستطيلات وبسمك ربع بوصة[1] .

كما أن هناك أكلات أخرى مثل:

الصندح : وهي أقرب في الشكل إلى ورقة المولوخية.

الحريش: وهي أقرب في شكلها إلى ورق الفجل تطبخ في الماء وتؤكل.

وأخيرًا اللبن والسمن، حيث تكثر الحيوانات بأنواعها المختلفة لأن طبيعة بلاد شهران زراعية وتكثر فيها الحيوانات بأنواعها المختلفة.

ثانيًا: الأشربة.

تكثر المشروبات وتتعدد تبعًا لأهميتها وتوفر مصادرها، فمن أهم المشروبات في بلاد شهران الشاي والقهوة والقشر والمريسة[2] والخصيف ويعتبر وجبة رئيسية علاوة على الليمون .

(١) جريس، بحوث في تاريخ عسير، ص١٤٤.

(٢) التمر الممروس في الماء يضاف له الفلفل "التراز".

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّه من العادات في الأشربة تقديم المجمر بعد القهوة حين يحترق فيه عود الند وخشبة الأذخر التي كانت كثيرة في البوادي، وكذلك تقديم التمر الناشف الصميل والذي يقدم لكبار الضيوف.

ولأهل شهران العريضة عادات في الضيافة تَنمَّ عن وعي وتقدير للضيف، حيث يستقبلون الضيوف ويرحبون بهم، ويقدمون لهم بعض الأطعمة والأشربة الخفيفة كالتمر والقهوة، وعند تجهيز الوجبة المُعَّدة للضيف يأتي صاحب البيت إلى ضيفه، ثم يناديه باسمه معلنًا أنَّ الطعام أصبح جاهزًا فيقوم الضيف ومن جلس معه للأكل، وقبل البدء يقول صاحب البيت بعض العبارات التي يسمعها الضيف معبرًا أن هذا الطعام أقل ما يجب تجاه ضيوفه، ثم يطلب منهم البدء بالأكل مع طلب المعذرة منهم إذا كان هناك تقصير في واجبات الضيافة[1]، ويذكر هذا واجب فلان ومَن معه.

وإذا كان هذا شانهم حيال الضيف فإن لهم آدابًا في تناول الطعام تنبع من عقيدتهم السليمة واقتدائهم بسنة نبيهم (ﷺ) مقتفيين أثره في كل صغيرة وكبيرة، كغسل الأيدي قبل الأكل، ثم الجلوس حول المائدة، واستعمال أصابع اليد اليمنى في الأكل، وذكر اسم الله عند البدء وعند الانتهاء من الأكل، يحمدون الله على ما رزقهم.. وغيرها من العادات الحميدة التي ورثوها تطبيقًا للسنة في تناول طعامهم وشرابهم، ثمّ بعد الانتهاء من الطعامِ يشكرونَ الله ثُمَّ صاحب البيت، ويقولون: خلف الله عليك، الله يغنيك ويرحم والديك، الله يمدك ولا يضهدك. وهذه عباراتٌ عامية، أو يقولون كما ورد في السُّنة: أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة، وذكركم الله فيمَن عنده.

وإذا كنا قد ذكرنا بعضًا من أكلاتهم وأطعمتهم وعاداتهم فلابد لنا أن نشير في هذا المقام إلى بعض الأدوات التي تستخدم في تقديم هذه الأطعمة والأشربة وفي حفظها، وهي كثيرة ومتنوعة وتختلف في أسمائها من مكان لآخر، إلا أننا سنشير إلى المشهورة والمتفق عليها، فمنها ما هو مصنوع محليًا أو ما كان منها مستوردًا ومن أهمها :

(١) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص٦٣.

١- البُرمة: وهي قدر مصنوع من الفخار يستخدم للطبخ.

٢- الخُمرة (وتسمى دلة): وهي إناء مصنوع من النحاس أو الصفر، وهي عبارة عن دلة كبيرة يُطبخ بها شرابي القهوة والقشر وما شابهها قبل تفريغ محتواها في دلة صغيرة.

٣- الصَّحفة: وتصنع من شجرة الدوم أو السدر أو السلم أو الطلح (منحوتة من الخشب) يفرغ بها طعام العصيدة والمصبع والعريك.

٤- المخرف: وهو أداة تصنع من السعف يخرف فيها التمر ويسمى عند البعض (الحفص)، ويحفظ فيها التمر لمدة تقرب من السنة.

٥- المبرد: وهو وعاء يصنع من الخشب وفيه يبرد البُن بعد حمصه.

٦- المهراس: أداة تصنع من الخشب أو من المعدن لطحن البُن والزنجبيل أثناء إعداد شراب القهوة.

٧- العُكَّة: قربة يخزن بها السمن، والرُّب تمر معصور أو مسخن أو مطبوخ.

٨- القربة: وهي أداة من الجلد يبرد فيها الماء.

٩- السعن: جلدٌ مفتوح توضع فيه أغراض المسافر من ماء وأكل وتمر يتزود بها.

١٠- الشكوة: أداة من الجلد يخضُّ فيها اللبن.

والأدوات المستخدمة عند مختلف قبائل شهران كثيرة ومتنوعة أشرنا إلى أشهرها سابقًا، حيث نرى أن أهل شهران استفادوا من خامات البيئة لصنع ما يحتاجونه وكيفوها لصالح معيشتهم ورفاهيتهم[١].

ولصبِّ القهوة والشاي والعود عاداتٌ خاصة؛ فمنهم مَن يبدأُ باليمين، ومنهم مَن يبدأُ بالوسط ثم اليمين، ومنهم مَن يبدأ بكبير السّنِّ، ومنهم مَن يبدأ بعقيد القومِ، والأفضلُ من اليمين. والمقولاتُ الشعبية في صبِّ القهوةِ وغيرِها كثيرةٌ؛ فحينما يصبُّ لك الصبّابُ القهوةَ ويقول لك: خُذْ، تقول له: اِكفه الأخذ، وكسر الفخذ. وإذا قال: جِبَا، تقول: اِكفه الهبا، وارحم أمه والأبا، واِكفه سريعات النبا، وزوّجه مَن يبا. وإذا قال: ساعده، تقول: بالغنايم

(١) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص٦٢- ٦٣. والعواجي، بيشة، ص١٨٥.

واعده. وإذا قالَ: سَم، تقول: اكفه السم. وهذه الأقوال وغيرها يُلاحظ عليها السجع والازدواج بين الجمل وبعضها البعض.

وما ذكرناه وبسطناه من أطعمة، وأشربة، وأدوات، وعادات، ما هو إلا يسير من كثير، ونقطة من بحر، مكتفين بأشهرها وما اتفقت عليه معظم قبائل شهران، وإن فاتنا شيء فما ذاك إلا خشية الإطالة، وليس إقلالًا من شأنها، يشفع لنا ما نهدفه من تقديم صورة واضحة ومبسطة للمجتمع الشهراني، تاركين التقصي والدقة والإلمام لمن يريد البحث والتقصي في هذا الجانب الغني بموروثاته وأنواعه ومفرداته مما تعرض لها بعض الكتاب والباحثين في مدوناتهم[1].

ثالثًا: ملبوسات شهران.

تختلف طريقة ونوعية الملابس باختلاف المستويات المعيشية والطبقات الاجتماعية، علاوة على اختلاف الظروف الطبيعية التي تلعب دورًا في نوعية الملابس وطبيعتها، ورغم هذا الاختلاف، فإننا نجد أن الملبوسات عند قبائل شهران وبطونها لا تختلف كثيرًا عن عدد من قبائل شبه الجزيرة العربية.

فلباس الرأس عند رجال شهران كان العمامة، وقد لبسها العرب في جاهليتهم وحتى وقتنا الحاضر ،واختصوا بها، وأصبحت صفة خاصة من صفات أشرافهم وساداتهم، وعُرفًا من أعرافهم من قديم الزمان، إذ يرون أنها تزيد الرجال وقارًا، ومن لا يلبسها ينظر إليه بعين الإزدراء، علاوة على فوائدها.

كما عرفت العمائم عند فرسان العرب في المواسم، وفي أسواق العرب كأيام عكاظ، وذي المجاز، وذي المجنة، وكان البعض من الجاهليين يتقنع بالعمامة لأنهم كانوا يكرهون أن يعرفوا من قِبَل أعدائهم.

(١) انظر لقحطاني، عبد الله (الدكتور) ، معجم العادات والتقاليد ؛والدكتور غيثان جريس،؛ ومحمد العواجي، وغيرهم.

واستمر استخدامها والاهتمام بها خلال العصور الإسلامية المختلفة بدءًا بحثِّ الرسول (ﷺ) على استخدامها والإشادة بلبسها، حيث نسب إليه قوله: "العمائم تيجان العرب، فإذا وضعوا العمائم وضع الله عزهم"[١].

وكان عليه الصلاة والسلام يرتديها، ثم لبسها الصحابة من بعده، وتتابع التابعون وعامة الناس في القرون الإسلامية المختلفة على لبس العمائم، بل من تأييد الإسلام للبس العمامة أنه لم يجعلها من ملابس البشر فقط، بل جعلها من ملابس الملائكة أيضًا ففي معركة بدر أخبر النبي (ﷺ) بأن الله أرسل إليهم الملائكة وهم يلبسون العمائم البيض، وقيل العمائم السود والصفر[٢]، وكان العلماء والفقهاء والأمراء وشيوخ القبائل أكثر الناس حفاظًا على لبس العمائم.

ولأهمية العمامة كلباس عربي أصيل وتسميتها باسم (تيجان العرب) فقد ذكرت في كتب التراث المختلفة كأسفار الحديث والسَّير والأدب، والتراجم والتاريخ، والدواوين الشعرية وغيرها من المصادر الإسلامية المبكرة[٣].

وبهذا فإن العمائم لباس عربي أصيل وتراث إسلامي عريق، عرفت عند العرب منذ العصر الجاهلي واستمرت معروفة وما زالت تستخدم عند كثير من المسلمين حتى يومنا هذا، ونظرًا لأهميتها البالغة ومكانتها فقد حافظ أبناء شهران العريضة على هذا التاج، الذي أكسبهم الوقار، فتميزوا بأصالتهم القديمة، وحداثتهم السليمة، وقد قال ابن سرار (رحمه الله) في قصيدة له:

إن سلمت يا راسي كسَيْتَك عمامه وإن متّ يا راسي فدتك العمايم

أما ما تبقى من الجسد؛ فإننا نجد الرجال في بلاد شهران يلبسون مئزرًا من الخام يضيف إليه المسنون منهم صدرًا من "البفته" أو "الدبيت" الأسود، أما سكان مدن شهران فيلبسون

---

(١)جريس، غيثان الدكتور، مقالة في مجلة بيادر ،"العمائم تيجان العرب"، العدد ٨/ ١٤١٣هـ، ص٦٦- ٦٨. واخرج الحديث عن الطبرسي، "مكارم الأخلاق"، ص٣٧.

(٢) المصدر نفسه

(٣) المصدر نفسه،ص٦٦. وما بعدها.

الثياب الوسيعة المذلوقة أو المفرجه، كما يلبس الأغنياء ورؤساء القبائل ثيابًا طويلة وتكتنفها مآزر ويضعون على رؤوسهم العمائم[١].

هذا التباين والاختلاف يجعلنا نؤكد على أن ألبسة البدن الخارجية عند الرجال خضعت للأحوال المادية فتعددت أنواعها واختلفت جودتها مثل (الجبة، والشملة، والعباءة) والجوخ والبيدية والفروة والمشلح (وهي كلمة فارسية).

ويختص بطن بيشة شهران بأنهم يلبسون الثياب المفرجه "المذولقة" بيضاء اللون من القماش الساحلي والغتر البيضاء هذا في الصيف، وفي الشتاء تتغير الملابس إلى الألوان الداكنة الثقيلة.

وأما ألبسة القَدَم عمومًا؛ فكانت من الأحذية الجلدية المصنوعة محليًا، هذا ما كان من شأن ملابس الرجال .

أما نساء شهران، فكان لزامًا عليهن تغطية رؤوسهن بحجاب لما يمليه عليهن الشرع الحنيف، والحجاب المستخدم متعدد الألوان، والغالب على ثياب النساء أن تكون واسعة وساترة لجميع الجسد، وأشهر الثياب التي تكثر ألوانه وخطوطه[٢]، كالمقطع، وهي ثياب فضفاضة في أكثر من لون تأتي بشكل عمودي تسمى "أبو ناسة"، وأبو "حممة" وغيرها.

وإذا ما حاولنا إلقاء نظرة على الزينة وأدواتها فإننا نجدها تختلف في مجتمع الرجال عن مجتمع النساء كل حسب طبيعته البشرية، فالرجال في مجتمع شهران معظمهم يطلقون لحاهم ويحتزمون بالخناجر والجنابي، ولا يكاد ينتقل الرجل من مكان إلى آخر ليلاً أو نهارًا أو في أي مناسبة إلا ومعه جنبيته أو ما ينوب عنها كالخنجر الصغير "مضية" أو العصا وأحيانًا المسبت[٣]، كما يتوشح الرجل بعض الأسلحة النارية على اختلاف أنواعها[٤].

أما زينة النساء فإن ملبوساتهن من الحلي هي: المرسن على الرأس، وهو ما يشبه العقال في الشكل، والحزام الفضي الناصع البياض، والقلادة على الجيد، والمعاضد فيما بين الكتف والمرفق من اليد، والميسك، والمفارد المصنوعة من خرز الظفار، وغيرها.. وجميعها

(١) العقيلي،، محمد بن أحمد، الأدب الشعبي في الجنوب، إشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ج٢،ج١، ص٣٧- ٣٨..

(٢) جريس، عسير دراسة تاريخية،. والقحطاني، موجز تاريخ وأحوال عسير.

(٣) المسبت: بيت الرصاص.

(٤) جريس، عسير دراسة تاريخية، ص٧٢.

تلبس على الذراعين أو في المعصمين، والخواتم في الأصابع، والحجول أو الخلاخل في القدمين، وأغلب هذه الحلي من الفضة الخالصة، فمنها ما يصنع محليًا وبعضها يستورد من الحواضر الكبرى في شبه الجزيرة العربية[1].

وقد أشار "فليبي" إلى الألبسة والزينة عند سكان إقليم عسير وسجل مشاهداته في أسواق المنطقة العديد من الأقمشة والألبسة، وكذلك بعض أدوات الزينة الخاصة بالنساء والرجال مثل الكحل ، وبعض الأشجار النباتية التي كان يضعها الرجال والنساء في رؤوسهن من باب التزين بها، أيضًا بعض أدوات الزينة عند الرجال مثل لبس العباءات، والعمائم والعقال، وكذلك الإحتزام ببعض الأسلحة كالخناجر والسيوف وما شابهها[2]، ويشير إلى ألبسة بعض النساء فذكر أنه شاهد النساء في أسواق بيشة وهن يعملن في البيع والشراء؛ ثم قال: (وكان أغلبهن يرتدي الثوب الأسود الفضفاض، والبعض الآخر يرتدي الثوب الأحمر وقليل منهن كان يرتدي الثوب الأصفر الأكثر جاذبية، والأقل فضفضة من الثياب السابقة وقد لبسن جميعًا ذلك الخمار الأسود الذي يغطي الرأس، والوجه حتى الصدر[3].

(١) جريس،المصدر نفسه، ص٧٢. والغامدي، صالح بن عون ،بيشة دراسة تاريخية ص٨٣. والعواجي، مصدر سابق، ص١٨٢- ١٨٣

(٢) جريس، بحوث في تاريخ عسير ، ص١٤٣. ؛وكتابه، نجران دراسة تاريخية. ص٢٣٥.

(٣) جريس، بحوث في تاريخ عسير، ص١٤٣.، وكتابه:نجران دراسة تاريخية. ص٢٣٦-٢٣٧.

المبحث الثالث :شعراء قبيلة شَهْـرَان العَريضَةِ في الجاهلية وصدر الإسلام .

أولًا: الشعراء في العصر الجاهلي :

١ . عمرو بن الفوارس الشهراني الخثعمي:

نسبه: هو عمرو بن الفوارس بن عامر بن سعد بن سمي بن مالك بن نصر بن وهب الله بن شهران بن عفرس[١]. وهو شاعر جاهلي، لا نعرف مِن شعره إلا ما ذكره المرزباني في معجم الشعراء، وأورد له بيتًا من الشعر :

تَنَاسَيْتَ يَا ذَا الجَوْشنِ الأَمْرَ قَدْ خَلا وَأَنْتَ تجدُ اليَوْمَ مَا أَنْتَ ذَاكِرَا[٢]

٢ . عمرو بن الصعق الشهراني الخثعمي:

شاعر جاهلي، لا نعرف مِن شعره إلا ما ذكره المرزباني في (معجم الشعراء)، حيث قال: عمرو بن الصعق الخثعمي، جاهلي، يقول:

أَأَبْكَيْتَ الجِبَالَ بِغَيْرِ شَجْوٍ وَهَلْ يَبْكِي مِنَ الحُزْنِ السّلامُ؟![٣]

٣ . أنس بن مدرك الشهراني الخثعمي:

هو أنس بن مدرك بن عمرو بن سعد بن عوف بن العتيك بن حارثة بن عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس، وهو أبو سفيان الشاعر، وقد رأس[٤].

وهو شاعر مكثر وفارس وصحابي جليل، ومن حكام العرب في الجاهلية، وقد اتسم برصانة شعره إلا أنَّ مصادر الأدب لم تحفظ لنا من شعره إلا القليل.

قال ابن حجر في الإصابة : ذكره ابن فتحون في ذيل الاستيعاب عن الطبري، وقال : كان شاعرًا وقُتِلَ مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[٥] . ومن المرجّحِ أَنَّهُ قُتِلَ في معركة الجمل، وقال أيضًا : قد ذكره أبو حاتم السجستاني في المعمِّرين وقال: وكان سيد

---

(١) المرزباني، أبي عبد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٩٩٢م، ص٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٧.

(٤) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٣٦٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٨٥.

خثعم في الجاهلية وفارسها وأدرك الإسلام فأسلم، وعاش مائة وأربعًا وخمسين سنة، وقال لمَّا بَلَغَ هذا العمر:

إذا ما امرؤٌ عَاشَ الهنيدةَ سالمِا وَخَمْسِينَ عَامًا بَعْدَ ذَاكَ وَأَرْبَعَا[1]

تَبَدَّل مُرَّ العَيْشِ مِن بَعْدِ حُلْوِهِ وَأَوْشَكَ أَنْ يَبْلى وَأَنْ يَتَسَعْسَعَا

رَهِينةُ قَعْرِ البَيْتِ لَيْسَ يَرِيمُه لعًا ثاويًا لا يبرحُ المهد مضجعا

يُخَبِّرُ عمّن ماتَ حتّى كأنّما رَأَى الصَّعْبَ ذَا القَرْنَيْنِ أَوْ رَأَى

وذكر لنا الأصفهاني جملةً من شعره، منها : أنه عندما طُلِبَ منه أداء دية السليك ابن سلكة من عبد الملك بن مويلك الخثعمي لأنَّه كان أجاره، عندما قتله، فرفض ذلك، وقال في ذلك شعرًا :

كَمْ مِن أَخٍ لي كريمٍ قَدْ فُجِعتُ بِه ثُمَّ بَقِيتُ كَأنِّي بَعْدَهُ حَجَرُ

لا أَسْتكينُ عَلى ريبِ الزَّمَانِ وَلا أُغْضِي على الأمر يَأْتِي دُونَه القَدَرُ

مِرْدَى حُروب أُدير الأمرَ حابلَهُ إذْ بعضُهم لأمورٍ تَعْتَرِي حَزَرُ

قَدْ أَطْعَنُ الطَّعْنَةَ النَّجْلاءَ أَتْبَعُها طَرْفًا شَدِيدًا إِذَا مَا يَشْخصُ البَصَرُ

وَيَوْمَ حمضةَ مطلوب دلفتُ له بِذَاتِ ودْقين لمَّا يُعْفهَا المطَرُ

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقلُه كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لمَّا عَافت البَقَرُ

غَضِبتُ لِلمَرْءِ إِذْ نِيكَتْ حَلِيلتُه وَإِذْ يُشَدُّ عَلَى وَجْعَائِهَا الثَّفَرُ

إِنِّي لَتَارِكُ هَامَاتٍ بِمَجْزرةٍ لا يَزْدَهِينِي سَوَادُ اللّيلِ وَالقمرُ

أَغْشَى الحُروبَ وَسِرْبَالِي مُضَاعفةٌ تَغْشَى البنانَ وَسَيْفِي صَارِمٌ ذَكَرُ [3]

وأورد له الجاحظ في كتاب الحيوان فقال: وكان أنس بن مدرك يقول في هجاء السادة:

(١) الهنيدة: مائه سنة وهنيدة بدون ألف واللام مائة من الإبل. لسان العرب، مادة (هند).

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج١، ص٨٥.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٢٠، ص٢٤٨- ٢٤٩.

عَزَمْتُ عَلَى إِقَامةِ ذِي صَباحٍ لأَمْرٍ مَا يُسَوَّدُ مَنْ يَسُودُ[1]

وذكر له ياقوت الحموي في ذكر موضعَيْ: (أيك) و(حيدة)، فقال: إيك موضع في ديار خثعم، ذكره الشاعر أنس بن مدرك مخاطبًا لبيد بن ربيعة العامري في قوله:

وخيلٌ، وشيخُ اللّحيتَيْنِ تَرَوْنَهَا فَرِيقَانِ مِنْهُم حَاسِرٌ ومُلامُ

فَتِلْكَ مخاضي بَيْنَ أَيْكٍ وحَيْدَةٍ لها نَهْرٌ، فخوضُه مُتَغَمْغِمُ

تَرَى هَدَبَ الطرفَاءِ بَيْنَ مُتونِهَا ووُرقَ الحَمامِ فَوْقَهَا تَترنَّمُ [2]

٤ . حمران بن مالك الشهراني الخثعمي:

وهو حمران بن مالك بن عبد الملك بن ثعلبة بن مازن بن خثيم بن حارثة بن عامر بن تيم الله بن بشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس[3] . شاعرٌ وفارس جاهلي، ذكره لنا ابن دريد فقال: حمران بن مالك الشاعر، وقد رأس في الجاهلية[4].

ولا يعرف مِن شعره إلا مَا ذكره لنا ابن عبد ربه الأندلسي في (العقد الفريد)، فقال: ومنهم حمران بن مالك الذي يقول :

أَقْسَمْتُ لا أَمُوتُ إِلا حُرًّا وَإِنْ وَجَدْتُ المَوْتَ طَعْمًا مُرًّا

أَخَافُ أَنْ أخدعَ أَوْ أُغرًّا[5]

٥ . حجل بن عمرو الفزعي الشهراني الخثعمي:

شاعر من شعراء شهران، وفارسٌ من فرسانها . ذكره لنا الآمدي فقال: حجل بن عمرو الفزعي، وحجل شاعر وفارس، وهو القائل :

بَنِي سُلَيْمٍ صَدَّعتُ شِعْبَكُمُ وَعَامِرًا قَدْ أَقَمْتُ فِي كبدِ

---

(١) الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،(ت ٢٥٥هـ)، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٩٩م، ج٣، ص٨١.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٣٢، ج٣، ص٢٠١.

(٣) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٣٦٠.

(٤) ابن دريد، الاشتقاقات، ج٢، ص٥٢٣.

(٥) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٣، ص٣٥٥.

قَتَلْتُ مِنْهُم خِيَارَ سَادتِهِم وآلَ نَصْرٍ قتلتُ فِي العدَدِ
صقعتهُم فِي اللّقَاءِ دَامغةً لَهَا يَدِينُونَ آخِرَ الأَبَدِ [1]

ويظهر أنه قال هذه الأبيات مفتخرًا بما صنعه بهذه القبائل، كما يظهر- أيضًا - مِن صدر هذه الأبيات أنها أطول من ذلك، لكن الآمدي لم يوردها كاملة .

٦ . زنير بن عمرو الشهراني الخثعمي:

شاعر وفارس، ذكره الآمدي فقال: زنيرٌ - بالنون - بن عمرو الشهراني الخثعمي، وهو الذي يقال له: (النذير العريان) .

وكان موجودًا في قبيلة بني زُبيد لأنه كان متزوجًا منهم، وإنَّ بني زبيد عندما أرادوا الإغارة على خثعم خافوا مِن شاعرهم زنير بن عمرو الشهراني الخثعمي أَنْ ينذرهم، فجعلوا عليه أربعةَ نفر من بني زُبيد يحرسونه، وطرحوا عليه ثوبًا، فصَادَفَ غِرَّةً منهم، فحاضرهم بعد أن رمى بثيابه، وكان من أجود الناس شدًا، وقال في ذلك:

أَنَا المُنْذِرُ العُرْيَانُ يَنْبذُ ثَوْبَهُ لَكَ الصّدقُ لَمْ ينبذْ لَكَ الثَّوبَ كَاذِبُ[2]

٧ . نفيل بن حبيب الشهراني الخثعمي:

هو نفيل بن حبيب بن عبد الله بن جزي بن عامر بن واهب بن جليحة بن ربيعة بن أكلب بن عفرس بن حُلف بن خثعم[3] .

شاعر جاهلي، وفارس مشهور، تولى رئاسة قبيلتي خثعم: شهران وناهس[4]، وصمد أمام جيش أبرهة الأشرم عندما توجه لهدم الكعبة المشرفة، فهزمه أبرهة وأسره، وعرف بـ : ذي اليدين.

أورد له ابن هشام والطبري شعرًا عندما صعد نفيل بن حبيب الشهراني الخثعمي إلى الجبل، ورأى ما أنزل الله بأبرهة وجيشه، فقال:

أَيْنَ المفَرُّ وَالإِلَهُ الطَّالِبُ وَالأَشْرَمُ المغْلُوبُ لَيْسَ الغَالِبُ؟!

(١) الآمدي، المؤتلف والمختلف، تحقيق كرنكو ، بيروت ، دار الجيل ط ١ سنة ١٩٩١ م، ص٨٢.

(٢) الآمدي، المؤتلف والمختلف، ص١٣١.

(٣) ابن الكلبي، مصدر سابق، ج١، ص٣٦١. وابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٩١.

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٧٩.

وقال معبرًا عما في قلبه من الإيمان بالله:

يَا ربّ لا أرجُو لَهُمُ سِواكَا يَا ربّ فامنع منهمُ حِمَاكا

إنَّ عدوَّ البيت مَنْ عَادَاكا امنعهمُ أن يُخْرِبُوا قُراكَا [1]

ولمَّا رأى إصرار أبرهة على هدم البيت، فقام وأخذ بحَلقَةِ باب الكعبة وأنشد:

لاهُمَّ إن العبد يمْنع رَحْـ ـلهُ فأمنع حلاَلكْ

لا يغلبَنَّ صليبُهم ومحَالُهُم غدوًا مَحالك

إنْ كنتَ تاركَهم وقبلتنا فأمْرٌ ما بدا لك

وقال – أيضًا – عندما رأى ما حلَّ بأبرهة وجيشه، وهم يسألون عنه:

أَلا حُيّيتِ عَنّا يَا رُدَيْنَا نَعِمْنَاكُمْ مَعَ الإِصْبَاحِ عَيْنَا

أَتَانَا قَابسٌ مِنْكُم عِشَاءً فَلَمْ يُقْدَرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا

رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ – وَلا تَرَيْهِ لَدَي جَنْبِ الْمُحَصّبِ مَا رَأَيْنَا

إذًا لَعَذَرْتِنِي وَحَمِدْتِ أَمْرِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا

حَمِدْتُ اللّهَ إذْ أَبْصَرْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا

وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ كَأَنّ عَلَيّ لِلْحُبْشَانِ دَيْنَا [2]

٨ . النعمان ذو الأنف الشهراني الخثعمي :

وهو النعمان ذو الأنف بن عبد الله بن جابر بن وهب الأقيصر بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن سعد بن مالك بن نسر بن شهران بن عفرس، الذي قاد خيل خثعم إلى النبي (ﷺ)[3] .

---

(١) الطبري، تاريخ، ج١، ص٤٣٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق/ مصطفى السقا وزملائه، ط١، بيروت، ١٩٩٥م، ج١، ص٨٧. والأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، بيروت، ١٩٦٩م، ج١، ص١١٤. والطبري، تاريخ، ج١، ص٤٤٠– ٤٤١.

(٣) ابن الكلبي، مصدر سابق، ج١، ص٣٩٩.

شاعرٌ مخضرم، وفارسٌ من فرسان شهران الخثعمية . ذكر لنا أبو العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي جملةً مِن أخبارِه وأشعاره، منها : ما أنشدّه من شعره عندما تقامر مع أنس بن مدرك في جعل العديد من الجزور لذوي الحاجة في نادٍ من أندية خثعم، فنادى: يا آل خثعم مَنْ رَدَّ منها ناقة فهي له . فقال له رجل من ذوي الحجى: إنك لمغلوب على عقلك، فقال :

قُلْتُ لِسَعْدٍ وابنِ أَرْوَى وَزُمَلْ:
لَا تَعْذِلُونِي سَبَقَ السَّيْفُ العَذَلْ
أَفِي ثَلاثِيَن كَسِلْكَانِ الحَجَل
أَسْآَرِ عَامٍ عَاثَ فِيهَا وَأَكَلْ
ذَا الطِّرْقِ حَتّى آَضَ كَالقَشْعِ القَحِلْ
أَحْرَقْتُمونِي بِالمِلامِ كَالشُّعَلْ
إِنْ لَمْ أَفِئْ أَمْثَالَهَا عَشْرًا كَمَلْ
أَوْ يَخْتَلِجْ نَفْسِي مُعَتِّقُ الأَجَلْ
فَلَسْتُ مِن أَبْنَاءِ شَهْرَانَ الأُوَلْ
شَادُوا بِنَاءَ المَجْدِ قِدْمًا فَاعْتَدَلْ (١)

٩ . حصين بن مدلج الشهراني الخثعمي

شاعر جاهلي، لا يُعْرَفُ مِن شِعْرِه إلا مَا ذكره ياقوت الحموي في موضع (روضة الخرج)، فقال: قال حصين بن مدلج الشهراني الخثعمي:

وَلَمْ أَنْسَ مِنْهَا نَظْرَةً أَسَرَتْ بِهَا بِرَوْضةِ خُرْجٍ قَلْبَ صَبٍّ مُتَيَّمِ (٢)

(١) الصدفي، أبي العلاء صاعد بن الحسن الربعي البغدادي، كتاب الفصوص، تحقيق د. عبد الوهاب التازي سعود، طبعة ١٩٩٣م، ج١، ص٢٠٧.

(٢) الحموي، مصدر سابق، ج٣، ص٨٩.

١٠ .كعب بن خريم بن الفزع الشهراني الخثعمي:

وهو كعب بن خريم بن الأقنع بن الديل بن ربيعة بن واهب بن مالك بن أوس اللات بن جشم بن مالك بن الفزع بن شهران[١] ذكره ابن الكلبي ولم يورد له شعرًا.

ثانيًا: الشاعرات من شهران في العصر الجاهلي:

١- فاطمة بنت مرّ الشهرانية الخثعمية:

شاعرة جاهلية من أهل تبالة، وكاهنة. قرأت الكتب[٢]، وكانت من أجمل النساء وأعفهن، ودرست علائم النبي ﷺ المبشرة بنبوته[٣].

مرَّ عليها يومًا عبد المطلب بن هاشم ومعه ولده عبد الله والد الرسول ﷺ، فرأت في وجه عبد الله نور النبوة، فقالت له: يا فتى هل لك بي – أي: تتزوجني – ولك مائة من الإبل؟ فقال :

أَمَّا الحَرَامُ فالمماتُ دونَهْ والحِلَّ لا حِلٌّ فَأستبينَهْ

فكيف بالأمر الذي تبغينَهُ يحمي الكريمُ عرضَهُ ودينَهْ

ثم مرَّ – بعد أن تزوج آمنة بنت وهب وأقام عندها ثلاثًا – عليها، فلم تقل له شيئًا، فقال لها: ما لكِ لا تعرضين عليَّ ما عرضتِ عليَّ بالأمس؟! فقالت: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا فلانٌ. قالت: مَا أنتَ هو، ولئن كنتَ ذاك لقد رأيتُ بين عينيكَ نورًا مَا أراهُ الآن، ما صنعتَ بعدي؟ فأخبرها. فقالت: والله ما أنا بصاحبة ريبة، ولكن رأيتُ في وجهك نورًا فأردت أن يكون فيّ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراده . اذهبْ فأخبرها أنها حملت خيرَ أهل الأرضِ . ثم أنشدت تقول:

إِنِّي رأيتُ مخيلةً لمعت فتلألأت بحناتم القطرِ

فَلِمَائِهَا نُورٌ يُضِيءُ له مَا حَوْلَهُ كِإضَاءةِ البَدْرِ

ورَجَوْتُها فخرًا أَبُوءُ بِهِ مَا كُلِّ قَادِحِ زَنْدِه يُوري

---

(١) ابن الكلبي، مصدر سابق، ج١، ص٣٦١.

(٢) الطبري، مصدر سابق، ج١، ص٥٠٥- ٥٠٦.

(٣) الوائلي، عبد الحكيم، موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط١، ج٢، ص٤٦٧.

لله مَا زُهْرِيّةٌ سَلبتْ ثوبَيْك ما اسْتَلَبَتْ وَمَا تَدْرِي[1]

ثم إنها قالت أيضا[2]:

بَنِي هَاشمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِن أَخِيكمُ أُمينةُ إِذْ للبَاهِ يَعْتَلجانِ

كَمَا غَادَرَ المصباحُ بَعْدَ خُبُوَّه فتائلَ قدْ مِيثَتْ لَهُ بِدهَانِ

وَمَا كلُّ مَا يحوي الفتى مِن تِلادهِ بحزمٍ ولا مَا فَاتَهُ لتوان

فَأجْمل إِذَا طَالبتَ أمرًا فإنّه سيكفيكَهُ جدَّان يصطرعانِ

سَيَكْفيكَهُ إِمَّا يَدٌ مقفعلّةٌ وإما يدٌ مبسوطة ببنانِ

وَلمَّا قضتْ منه أمينة مَا قضت نبا بَصَري عنه وَكَلَّ لِسَاني

فانصرف عبد الله وبقيت هي في حالها حتى ولد النبي ﷺ.

٢- عمرة الشهرانية الخثعمية:

شاعرة جاهلية، قالت ترثي ابنيها:

لقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزِعْتُ عَلَيْهِما وهَلْ جَزَعٌ أَنْ قُلْتُ: وا بأباهُما!

هُما أَخَوا في الحَرْبِ مَن لا أخا لَهُ إذا خافَ يومًا نَبْوَةً مَنْ دَعاهُما

هُما يَلْبَسانِ المِجْدَ أَحْسَنَ لِبْسَةٍ شَحِيحانِ، ما اسْطاعا عليه كِلاهُما

إذا نَزَلا الأَرْضَ المخُوفَ بِها الرَّدَى يُخَفِّضُ مِن جَأْشَيْهِما مُنْصُلاهُما

إذا اسْتَغْنَيا هَبَّ الجَمِيعُ إِلَيهِما وَلَمْ يَنْأَ عن نَفْعِ الصَّدِيقِ غَناهُما

إذا افْتَقَرا لَمْ يَجْثِما خَشْيَةَ الرَّدَى ولَمْ يَخْشَ رُزْأً مِنْهُما مَوْلَياهُما

(١) الطبري، تاريخ، ج١، ص٥٠٦.

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص٥٠٦.

لَقَدْ سَاءِنِي أَنْ عنّسَتْ زَوْجتَاهُمَا وَأَنْ عَرِيَتْ بَعْدَ الوَجَى فرساهُمَا

وَلَنْ يَلْبَثَ العَرْشَانِ يُسْتَلّ مِنْهُمَا خيارُ الأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ غَماهُمَا (١)

٣- أم خالد الشهرانية الخثعمية:

شاعرة جاهلية، قالت في جَحْوَش العقيلي، وكانت تعشقه:

فَلَيْتَ سِمَاكِيًّا يَطِيرُ رَبَابُه يُقَادُ إِلى أَهْلِ الغَضَا بِزِمَامِ

لِيَشْرَبَ مِنْهُ جَحْوَشٌ وَيَشِيمَهُ بِعَيْنَيْ قَطَامِيٍّ أَغَرَّ شَآمِ

بِنَفْسِيَ عَيْنَا جَحْوَش وَقَمِيصُه وَأَنْيَابُهُ اللاتِي جَلاَ بِبَشَامِ

فَأُقْسِمُ أَنِّي قَدْ وَجَدْتُ بِجَحْوَشٍ كَمَا وَجَدَتْ عَفْرَاءُ بِابنِ حِزَامِ

وَمَا أَنَا إِلا مِثْلُها غَيْرَ أَنَّنِي مُؤَجّلةٌ نَفْسِي لِوَقْتِ حِمَامِ

فَإِنَّ وُلُوج البَيْتِ حِلٌّ لجَحْوَشٍ إِذَا جَاءَ وَالمِسْتَأْذَنُونَ نِيَامُ

فَإِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الحِجَازِ فَلا تَلِجْ وَإِنْ كنتَ نَجْدِيًّا فَلِجْ بِسَلامِ

رَأَيْتُ لَهُمْ سِيماءَ قَوْمٍ كَرِهْتُهم وَأَهْلَ الغَضَا قَوْمٌ عَليَّ كِرَامُ (٢)

وقالت أيضًا:

أَيَّتُها النَّفْسُ الّتِي قَادَهَا الهَوَى أَمَا لَكِ إِنْ رُمْتِ الصُّدودَ عَزِيمُ؟!

فَتَنْصَرِفِي عَنْهُ فَقَدْ حِيلَ دُونَهُ وَأَلْهَاهُ وَصْلٌ مِنْ سِوَاكِ قَدِيمُ (١)

---

(١) البحتري، أبو تمام الوليد عبيد، الحماسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ، ص٤٤٩.

(٢) القالي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي، ط٢، دار الجيل، لبنان، ، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٠، ؛ وابن منظور، لسان العرب، مادة (قطم) و(قو) و(غرر). والوائلي، مصدر سابق، ج١، ص١٥٥.

٤- سلمى بنت طارق الشهرانية الخثعمية:

شاعرة جاهلية، قالت في تقلب الدهر بأهله:

أَلا لا تَدُومُ نِعْمَةٌ وَسُرُورُهَا عَلَى المرْءِ إلا عَارةٌ يَسْتَعِيرُهَا[٢]

ثالثًا: أبرز الشعراء في صدر الإسلام حتى العصر الأموي:

١- عياش بن حنيفة الشهراني الخثعمي:

شاعر راشدي، ذكره المرزباني في معجمه، فقال:"عياش بن حنيفة الخثعمي، من أهل اليمامة، محدث رشيدي. كان هو والسمط بن مروان بن أبي حفصة يتحدثان إلى جارية باليمامة، فمرض عياش فلم يعده السمط، وكان للجارية ابن يقال له: عمر، فقال عياش ينسب عمر إلى السمط، ويعاتبه في ترك عيادته:

فَلَوْ غَيْرَ مِيمٍ بَعْدَهَا رَاءُ مَسَّهُ أَذَى سَاعةٍ لَمْ تُخْلِه مِنْ سُؤالِكَا
وَحُقَّ لَهُ مِنْكَ السُّؤالُ وَأُمّه أَبَا عُمَرٍ قَدْ أَصْبَحَتْ فِي حِبَالِكَا
وَقَالَ أُنَاسٌ: فِيهِ مِنْهُ مُشَابهٌ فَقُلْتُ لَهُم: كَلَّا؛ لِحِفْظِ إِخَائكَا
فَقَالُوا: بَلى، إِنَّا وَجَدْنَاهُ -فَاعْلَمَنْ- عَلَى أُمِّه فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ بَارِكَا [٣]

فقال السمط:

تَعَيَّشْتَ يَا عَيّاشُ مِنْ فَضْلِ كَسْبِهَا وَعُدْتَ سَمِينًا بَعْدَ طُولِ هُزَالِكَا
يُعَاتبُنِي عَيَّاشُ أَنْ لَا أَعُودَهُ فَأَهْوِنْ بِه حَيًّا عَلَيَّ وَهَالِكَا
وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ كُلِّهِم وَمِنْ خَالِقِي مَنْ أَنْ أُرَى بِفِنَائِكَا

فقال عياش:

---

(١) القالي، الأمالي، ج٢، ص١٠.

(٢) البحتري، أبو تمام الوليد عبيد، الحماسة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧هـ، ص٤٤٩.

(٣) المرزباني، معجم الشعراء، ص١١٤- ١١٥.

أَتَزْعُمُ أَنِّي قَدْ سَمِنْتُ بِكَسْبِهَا وَمَا كَسْبُهَا يَا سمطُ غَيْرُ عَطَائِكَا
فَإِنْ بَذَلَتْ لِي رَغْبَةً عَنْكَ مَالَهَا فَمُتْ كَمَدًا أَوْ ضنّ عَنْهَا بِمَالِكَا

فقال السمط:

وَلَمَّا مَضَى لِلْحَمْلِ تَسْعةُ أَشْهُرٍ وَرَابَ الّذِي فِي بَطْنِهَا مِنْ حلابِكَا
دَعَوْتَ إِلَيْهَا القَابلَاتِ يلينَهَا فَجَاءَتْ بِمَسْطُوحِ القَفَا فِي مِثَالِكَا

فقال عياش: هذا شعر مروان. ولم يجبه"[1].

٢- بشر بن ربيعة الشهراني:

وهو بشر بن ربيعة بن عمرو بن قتادة بن قمير بن عامر بن رابية بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب بن ربيعة بن عفرس، الذي يقول يوم القادسية:

أَنَخْتُ بِبَابِ القَادسيّةِ نَاقَتِي وَسَعْدُ بنُ وَقَّاصٍ عَلَيَّ أَمِيرُ[2]

قال الصفدي: بشر بن ربيعة، صاحب جبانة بشر بالكوفة، شاعر مخضرم، وهو أحد الفرسان، وهو القائل لعمر بن الخطاب بعد وقعة القادسية:

تذكر هداك الله وقع سيوفنا بباب قديس والمكر ضرير
غداة يود القوم لو أن بعضهم أُعير جناحي طائر فيطير
إذا فرغنا في قراع كتيبة دلفنا لأخرى كالجبال نسير [3]

وكان من الفرسان الأقوياء.

وقد شارك في معركة القادسية وأبلى فيها بلاءً حسنًا، وبعد انتهاء المعركة جمع سعد بن أبي وقاص غنائم حلوان وجلولاء وخافقين وغنائم القادسية وأخرج من ذلك الخمس ليوجه به إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فتقدم إليه بشر بن ربيعة الشهراني الخثعمي وطلب منه زيادة فلم يزده، فغضب لذلك، وهجا سعد بن أبي وقاص فأنشد يقول:

يَنُوبُ عَنِ القَوْمِ الكِرامِ بِجَمْعِهِم وَفَضَّلَ سَعْدٌ بِالعَطيّةِ خَالِدَا

(١) المصدر نفسه ، ص١١٥.
(٢) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٣٦٠.
(٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، الوافي بالوفيات، ط٢، دار النشر فوانز، ، ١٩٩١م، ج١٠، ص١٤٩.

فَإِنْ تُكْرِمِ العُذْرِيَّ بِالقَسْمِ وَاصِلا فَأَجْدِرْ بِرَأْيِ السُّوءِ لِلْجَوْرِ زَائِدَا

أَتَنْهَبُ جَهْلا لا أَبَا لَكَ حَقَّنَا لَقَدْ ضِقْت ذَرْعًا عَنْ مَدَى الحَقِّ حَائِدَا

مَتَى كَانَ مِيرَاثُ ابنَ خَثْعَمَ قُلْ لَنَا لخالدَ يَا للنّاسِ لا كنت جَاهِدَا

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَعَطَّفَتْ عَلَيْكَ أَبَا وَهْبٍ فَأَلْفَيْتَ رَافِدَا

لَقَدْ غَمَرَتْ آَبَاؤُكَ اللَّوْمَ دَهْرَهَا وَأُلْفِيتَ فِي فِهْرٍ تحلُّ الوَصَائِدَا[1]

فلما علم سعد أنه هجاه دعا به فحمله على حجرة له كريمة ووصله بألف درهم، وضم إليه الغنائم (الخمس) ووجه به إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، ولما وصل إلى المدينة المنورة والتقى بالخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال شعرًا :

أَلَمَّ خيالٌ مِن أُمَيْمةَ مَوْهنًا وقد جَعَلَتْ أَوْلَى النجوم تَغورُ

وَنَحْنُ بِصَحْراءِ العُذَيْبِ وَدَارُها حِجَازِيَّةٌ إِنَّ المحلَّ شَطيرُ

وَلا غَرْوَ إلا جَوْبَهُا البِيْدَ في الدُّجَى وَمِنْ دُوننَا رَعْنٌ أشمُّ وقورُ

أنخت بِبَابِ القَادسيّةِ نَاقتِي وَسَعْدُ بنُ وَقّاصٍ عَلِيَّ أَميرُ

وَسَعْدٌ أَمِيرٌ شَرُّهُ دونَ خَيْرِهِ طَويلُ الشَّذَى كَأبي الزنادِ قَصِيرُ

تَذَكَّرَ . هَدَاكَ اللهُ . وَقْعَ سُيوفِنَا بِبَابِ قُدَيْسٍ والمِكَرَّ عسيرُ

عَشِيّةَ وَدَّ القَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُم يُعَارُ جِنَاحَيْ طَائرٍ فَيَطِيرُ[2]

وأخبرنا الأصفهاني عنه فقال: حدثنا يونس وأبو الخطاب قالا: لما كان يوم القادسية أصاب المسلمون أسلحة وتيجانًا ومناطق ورقابا فبلغت مالًا عظيمًا، فعزل سعد الخمس ثم

(١) ابن أعثم، أبو محمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، ج١، ص٢١٩.

(٢) المصدر نفسه ، ج١، ص٢١٩.

فضَّ البقية، فأصاب الفارس ستة آلاف، والراجل ألفان، فبقي مال دَثْر[1]، فكتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بما فعل، فكتب إليه أن ردَّ على المسلمين الخمس، وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة، ففعل فأجراهم مجرى من شهد، وكتب إليهَ بذلك، فكتب إليه الخليفة: أنْ فُضَّ ما بقي على حملة القرآن، فأتاه عمرو بن معد يكرب فقال: ما معك من كتاب الله تعالى؟ فقال: إني أسلمت باليمن، ثم غزوت فشُغلت عن حفظ القرآن، قال: مالك في هذا المال نصيب، قال: وأتاه بشر بن ربيعة الشهراني الخثعمي، صاحب جبانة بشر فقال: ما معك من كتاب الله؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم، فضحك القوم منه، ولم يعطه شيئًا، فقال بشر بن ربيعة :

أنختُ بباب القادسيّةِ ناقتي وسَعْدُ بن وقّاصٍ عليَّ أميرُ

وسعدٌ أميرٌ شرُّه دونَ خيرِه وخيرُ أميرٍ بالعراق جريرُ

وعند أمير المؤمنين نوافلُ وعند المثنى فضةٌ وحريرُ

تَذَكَّرْ –هَدَاكَ الله– وَقْعَ سُيوفِنَا بِباب قُدَيْس والمكَرُّ عَسِيرُ[2]

عشيَّة ودَّ القَوْمُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُم يُعَارُ جَنَاحَيْ طَائرٍ فَيَطِيرُ

إِذَا مَا فَرَغْنَا مِنْ قِرَاع كتيبةٍ دَلَفْنَا لأُخْرَى كَالجبَالِ تَسِيرُ

تَرَى القَوْمَ فِيهَا وَاجِمِينَ كَأَنَّهُم جِمَالٌ بِأَحْمَالٍ لهنَّ زَفِيرُ[3]

٣– سفيان بن صفوان الشهراني الخثعمي:

مخضرمٌ؛ عاصر صدر الإسلام والعصر الأموي، وفارس من شعراء خراسان.

ذكر لنا الدكتور عزمي سكر عنه، فقال: سفيان بن صفوان الشهراني الخثعمي، توفي بعد سنة ٩٨هـ.

---

(١) دثر: أي كثير.

(٢) قديس: موضع قرب القادسية، نزله سعد بن الوقاص.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج١٥، ص١٦٢– ١٦٣.

من شعراء خراسان، وقد افتخر بما فعله نسيبه وابن قبيلته الحجاج بن جارية، بدفاعه البطولي لإنقاذ والي خراسان يزيد بن المهلب، إذ كان يرتاد مكانًا يدخل منه أثناء فتح مدينة دهستان، فقام الترك بمفاجأته بأعداد كبيرة تفوق كثيرًا ما كان حوله من جنود، لكن يزيد تمكن أن ينجو بنفسه وبمن معه .

وقد أقام في رجوعه الحَجَّاج على الساقة فقاتل دونه، واستطاعوا أن يبلغوا الماء وكانوا قد عطشوا وانصرف عنهم أعداؤهم[1].

فقال سفيان بن صفوان الشهراني يمدح ابن جارية

لَوْلا ابنُ جَارِيةَ الأغَرُّ جَبِينُه لسُقِيتَ كَأسًا مُرَّةَ المتجرَعِ

وَحَمَاكَ فِي فُرْسَانِه وخُيولِهِ حَتَى وردتَ الماءَ غيرَ مُتَعْتَعِ

٤- ابن الدمينة ، في العصر الأموي .

اسم ابن الدمينة عبد الله ، والدمينة أمُّه. واسم أبيه عُبيد الله، أحدُ بني عامر بن تيم الله. ويكنّى ابنُ الدمينة أبا السري، وكان شاعرًا فحلاً إسلاميًّا، ونسيبُه من أرقِّ النسيبِ وأحلاه.

قال أبو عبد الله الزُّبير بن بكّار[2]: كان ابنُ الدُّمَيْنة . وهو عبد الله بن عُبَيد الله . مِن أحسنِ الناسِ نمطًا، يجتمعُ له مع رقّة المعاني الفصاحةُ، ومع العذوبةِ الجزالةُ، وكان مقدَّمًا في المتغزّلين، نقيَّ الكَلِمِ، بعيدًا من التكلُّفِ، يخلطُ بمذاهبِ الأعرابِ حلاوةَ الحجازيين، وأكثرُ شعرِه نسيبٌ.

وقَالَ: مادحًا قبيلة شهران الخثعمية

أَلاَ يَـــا أَيُّهَـــا المعْتَـــدُّ فَخْـــرًا هَلُـــمَّ أَلاَ أُخَبِّـــرُكَ اليَقينَـــا[1]

(١) سكر، د.عزمي ، معجم الشعراء في تاريخ الطبري، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ص٢٢٣- ٢٢٤.

(٢) هو: الزبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوّام، أبو عبد الله المدني، قاضي مكة. كان ثبتًا ثقةً راويةً للآثار وغيرها. تُوفّي بمكة في ذي الحجة سنة ستٍّ وخمسين ومائتين، ودُفِن بالحجون. وقيل: تُوفّي =لتسعٍ بقين من ذي القعدة. انظر ترجمته: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٣١١/١٢؛وتهذيب الكمال ٢٥/٢٨ ؛ولسان الميزان لابن حجر ٣١٨/٧؛ و إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال لعلاء الدين مغلطاي ، ٤٠/٥.

(١) كذا في النسخة، ورواية الشطر في نشرة الهاشمي، ص٣٨: "هلُمّ إليَّ أُخبرك اليقينا".

فَإِنَّـــكَ إِنْ فَخَـــرْتَ وَلَمْ تُصَـــدِّقْ حَـــدِيثَكَ آيَـــةً لِلسَّـــائِلِينَا
وإِنَّـــكَ إِنْ فَخَـــرْتَ بِغَـــيْرِ شَـــيْءٍ تَـــرُدُّ بِـــهِ حَـــدِيثَ المُبْطِلِينَـــا
فَـــإِنَّ لِخَـــثْعَمٍ آيَـــاتِ[٢] نُعْمَـــى أَمَـــارَاتِ الهُـــدَى نُـــورًا مُبِينَـــا
/وَمِـــنْ آيَـــاتِ رَبِّـــكَ أَنْ تَرَانَـــا بِمَسْـــكَنَةِ القَبَائِـــلِ مَـــا رَضِـــينَا
وَإِنَّـــكَ إِنْ تَـــرَى مَنَّـــا فَقِـــيرًا يُضِـــيفُ غَنِيَّ قَـــوْمٍ آخَرِينَـــا[٣]
وَإِنَّ الجَـــارَ يَنبُـــتُ[٤] فِي ثَرَانَـــا ونُعْجِـــلُ بِـــالقِرَى لِلنَّازِلِينَـــا
وإِنَّـــا لَـــنْ نُصَـــاحِبَ رَكْـــبَ قَـــوْمٍ وَلاَ أَصْـــحَابَ سِـــجْنٍ مَـــا حَيِينَـــا
فَيَخْتَلِطُـــوا بِنَـــا إِلاَّ افْتَرَقْنَـــا عَلَـــيْهِمْ بِالسَّـــمَاحَةِ مُفْضِـــلِينَا
وَمِـــنْ آيَـــاتِ رَبِّـــكَ مُحْكَمَـــاتٍ مَوَاثِـــلَ مَـــا دُرِسْـــنَ وَمَـــا نُسِـــينَا[٥]
مَغَـــارِزُ[٦] مِـــنْ فَـــوَارِسَ مِـــنْ كِـــلابٍ وَعَمْـــرٍو يَعْـــتَرِفْنَ وَيَشْـــتَكِينَا[٧]
بِـــأَنَّ الحَـــيَّ خَـــثْعَمَ غَـــادَرَتْهُمْ كَلِـــيلاً حَـــدُّهُمْ مُتَضَعْضِـــعِينَا[٨]

رابعًا: الشاعرات في صدر الإسلام:

١- سلمى بنت عميس الشهرانية الخثعمية:

وهي سلمى بنت عميس بن معد بن تيم بن الحارث بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن معاوية بن زيد بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران ابن عفرس[١].

---

(٢) في نشرة الهاشمي، ٣٨: "أيمانُ".
(٣) البيتُ ساقط في متن النسخة، واستُدرك في الهامش الأيمن.
(٤) كذا في النسخة، وفي نشرة الهاشمي، ص٣٨: "يثبتُ".
(٥) أي: إن هذه الآيات والفضائل باقيةٌ في قومِه خثعم لم تدرس ولم تُنسَ.
(٦) كذا في النسخة، ونشرة الهاشمي، ص٣٨.
(٧) يشير ابن الدمينة إلى يوم فيف الريح،وقد صرح به فيما يلي من أبيات، وكان وقوعُه إبَّان مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم؛ حيث تجمّعت قبائل مَذْحج، وأكثرُها بنو الحارث بن كعب، وقبائلُ مِن مُراد وجُعْفِيّ وزَبِيد وخَثْعم، وعليهم أنسُ بنُ مُدْرِكة، وعلى بني الحارثُ الحُصين. فأغارواعلى بني عامر بن صَعْصعة بموضعٍ يُسمّى فَيف الرِّيح. انظر الخبر مفصّلاً في: العقد الفريد، ٥/٢٣٥-٢٣٦؛ مجمع الأمثال، ٣/٦٥٣؛ نهاية الأرب، ١٥/٤١٤-٤١٥.
(٨) ضَعْضَعَةُ، أي: هدمه حتَّى الأرض، وتَضَعْضَعَتْ أركانه: اتَّضَعَتْ، وضَعْضَهُ الدهرُ فَتَضَعْضَعَ، أي: خضع وذلَّ. انظر: الصحاح، مادة (ضعضع).
(١) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، ج١، ص٢٥٨.

صحابية وشاعرة من شواعر العرب، أسلمت مع أختها أسماء[1]، وتزوجها حمزة بن عبد المطلب.

ذكر لنا الأصفهاني قال: "قال ابن دأب: فأخبرني صالح بن كيسان أن رسول الله ﷺ سأله: "هل أنكر عليه أحد ما صنع؟" فقال: نعم، رجلٌ أصفرُ رَبْعَةٌ، وَرَجلٌ أحمرُ طويلٌ. فقال عمر: أنا والله يا رسول الله أعرفهما؛ أما الأول فهو ابني وصِفتُه، وأما الثاني فهو سالم مولى أبي حذيفة. وكان خالدٌ قد أَمَرَ كلَّ مَن أسر أسيرًا أن يضرب عنقه، فأطلق عبد الله بن عمر وسالم مولى أبي حذيفة أسيرين كانا معهما، فبعث رسول الله ﷺ عليًّا (رضي الله عنه) بعد فراغه من حنين، وبعث معه بإبل ووَرِقٍ، وأمره أَنْ يَدِيَهم فوادهم، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فسأله، فقال علي: قدمتُ عليهم، فقلت لهم: هل لكم أن تقبلوا هذا الجمل بما أصيب منكم من القتلى والجرحى وتُحلّلوا رسول الله ﷺ؟ فقالوا: نعم. فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثاني بمَا دَخَلَكم من الروع والفزع؟ قالوا: نعم،. فقلت لهم: فهل لكم أن تقبلوا الثالث وتحللوا رسول الله ﷺ ممَّا عَلِمَ وممَّا لم يعلم؟ قالوا: نعم. قال: فدفعتُه إليهم، وجعلت أَدِيهم، حتى إني لأدي ميلغة الكلب، وفضلت فضلةٌ فدفعتُها إليهم،.فقال رسول الله ﷺ: " أفقبلوها؟" قال: نعم. قال: "فوالذي أنا عبده لهي أحب إليَّ من حمر النعم".

وقالت سلمى بنت عميس في ذلك:

وَكَمْ غَادرُوا يَوْمَ الغُمَيْصَاءِ[2] مِنْ فَتىً أُصِيبَ فَلَمْ يَجْرَحْ وَقَدْ كَانَ جَارِحَا

وَمِنْ سَيّدٍ كَهْلٍ عَلَيْهِ مَهَابةٌ أُصِيبَ وَلَمَّا يَعْلُه الشَّيْبُ وَاضِحَا

أَحَاطَتْ بِخُطّابِ الأَيَامَى وطَلَّقت غَدَاتَئذٍ مَنْ كَانَ مِنْهُنَّ نَاكِحَا

وَلَوْلَا مَقَالُ القَوْمِ لِلقَوْمِ أَسْلِمُوا لَلَاقَتْ سُلَيْمٌ يَوْمَ ذَلكَ نَاطِحَا"[3]

(١) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج٤، ص٢٢٣.

(٢) يوم الغميصاء: موضع في بادية العرب قرب مكة كان مسكن بنو جذيمة بن عامر.

(٣) الأصفهاني، الأغاني، ج٧، ص٢١٦- ٢١٧.